الأدب المصرى القديم

د. أحمد محمد البربرى

كلية الآداب - جامعة عين شمس

٢٠٠٦

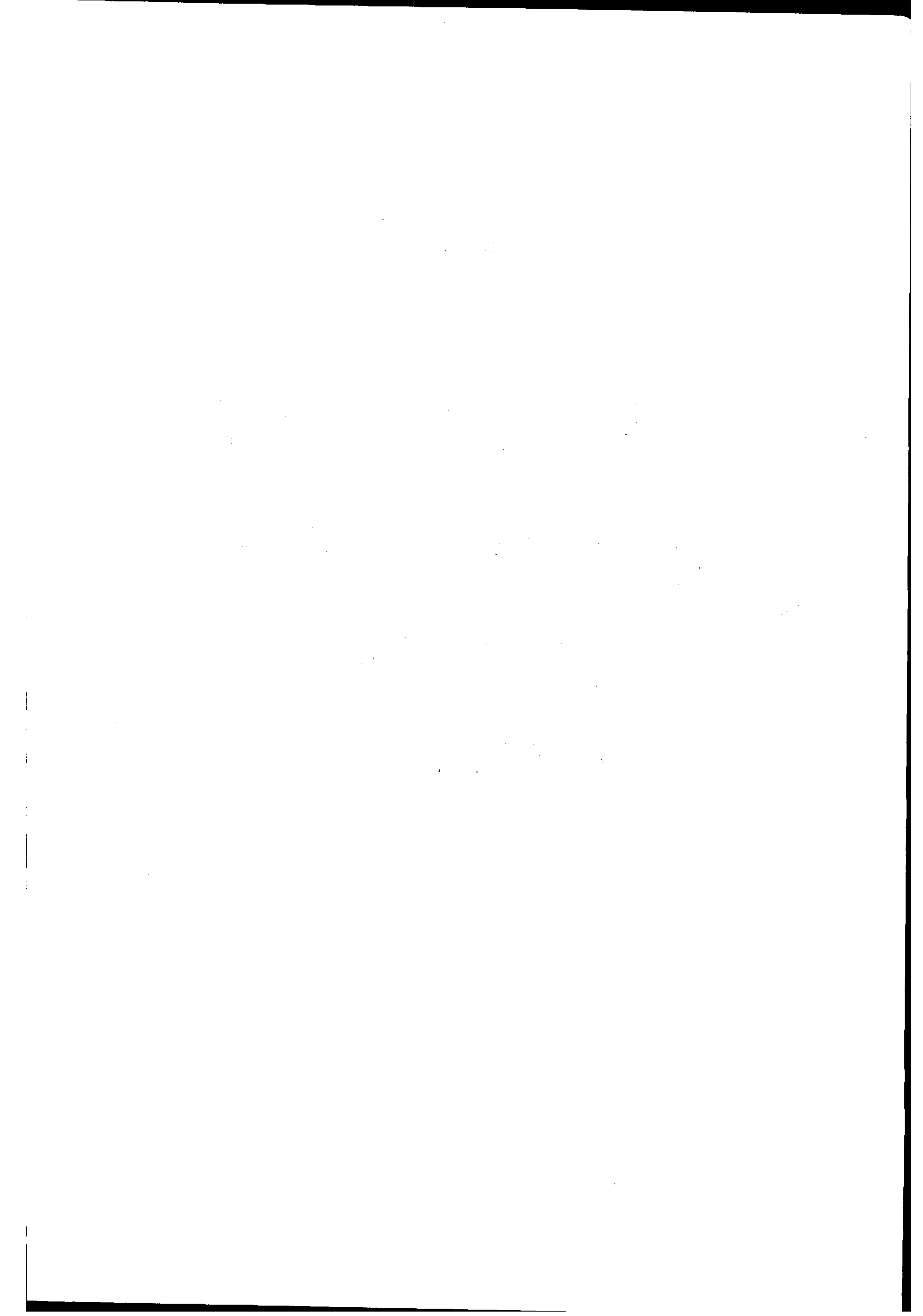
إهـــداء

إلي من هما أعز من نفسى

إلي من أرى فيهما شبابى

إلي ولــــداى

مؤمـــــن ومحمـــود



الفهـــــرس

المقدمة

يعتبر الأدب مرآة لحضارة الشعوب، وهو الصورة الصادقة للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بجانب الدينية، وقد كان المصريون القدماء يهتمون بالأدب اهتماماً عظيماً، نظراً لما يحويه هذا الفن من قول بليغ ونصائح غالية وقصص وأساطير دينية كان المصرى القديم يحب الاستماع إليها وتكرارها فى كل زمان ومكان.

وكان الأدب المصرى القديم يقرأ ويُعلم ويُدرس للتلاميذ والشباب فى المدارس، وكان الطلاب ينسخونه؛ لتعليمهم اللغة البليغة التى كان يتمنى كل فرد أن يتصف بها.

وكان للأدب المصرى القديم فترات ازدهار، ففى وقت الشدة كان يظهر الحكماء والكتاب والشعراء، ففترة عصر الانتقال الأول وخاصة فترة الثورة الاجتماعية الأولى وما تلاها من عصر الدولة الوسطى تعد من أزهى فترات الأدب المصرى، هذا بجانب الفترات السابقة واللاحقة عليها.

وقد وصل الأدب المصرى القديم إلى مكانة عظيمة بين أدب العالم القديم، مما حدا بكثير من الباحثين إلى الاتجاه لدراسته دراسة مستقلة بذاته عن التاريخ المصرى القديم وباقى فروع الحضارة المصرية القديمة.

وسوف نقوم بعرض شئ بسيط من الأدب المصرى القديم من خلال:

١- أدب الأسطورة.
٢- أدب القصة.
٣- أدب النقد والسياسة.
٤- أدب الحوار.
٥- أدب المديح.
٦- أدب الملاحم.
٧- أدب الحكم والنصائح.
٨- أدب الأناشيد.
٩- أدب الغزل.
١٠- أدب الرسائل.

وسوف نعرض بعض الأمثلة فى كل فرع من فروع الأدب، وسوف نرى أن هذا الأدب يتفق كلية مع الأدب المصرى المعاصر، ولما لا؟ لأن

الأدب المصرى ما هو إلا امتداد للقديم، وامتداد لحضارة عمرت وسادت، حضارة الأجداد التى يجب أن يحافظ الأبناء والأحفاد عليها وأن تكون لهم نبراســاً للتقدم فى جميع المجالات. وكان المصرى القديم يحث على العلم والــتعلم، وكان يؤكد على حسن الخلق وذلك من خلال النصائح التى كان يتكفل بها الآباء لأبنائهم أو المعلمون لتلاميذهم، وكان الهدف من وراء تلك النصائح أن يشب المرء على خلق سليم أن يحترم الكبير ويقدر المعلم.

ومن خلال هذه السطور أتوجه بكل التقدير والاحترام والشكر لكل من علمنى، وصدق الشاعر حيث قال:

"قم المعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا"

وشكرى لكل أساتذتى الأجلاء وأخص بالذكر منهم أستاذى الكريم الأستاذ الدكتور عبد الحليم نور الدين الذى يعد بحق قدوة المعلم لتلاميذه.

وأخــيراً أتمــنى أن أكون بهذا العمل البسيط عن الأدب المصرى القديم قد أسهمت بشئ يسير فى تقديم تاريخ وحضارة بلدى التى حماها الله على مر العصور.

وعلى الله قصد السبيل،،

دكتــــــور

أحمد محمد البربرى

الإسكندرية

عصـــور مصـــر التاريخيـــة

هـناك تقسـيمان لعصور مصر التاريخية أولهما: تقسيم المؤرخ المصـرى مانيـتون الـذى يقوم على أساس الأسرات حيث قسم التاريخ المصـرى القديـم إلى ثلاثين أسرة تضم كل أسرة مجموعة من الملوك، وثانـيهما: تقسيم المؤرخين المحدثين والمعاصرين ويقوم هذا التقسيم على أسـاس العصور بحيث يشمل كل عصر مجموعة من الأسرات على النحو التالى.

١- **عصـور مـا قـبل الـتاريخ:** ويصعب تحديد بدايته ويشمل العصر الحجرى القديم والوسيط والحديث والنحاسى وما قبل الأسرات.

٢- **عصر الدولة القديمـة:** الأسرات من ١- ٦

أ- **العصر العتيـــق:** الأسرات ١- ٢ (من القرن ٣١- ٢٧ ق.م)

ب- **عصر بناه الأهرام:** الأسرات ٣-٦ (من القرن ٢٨- ٢٢ ق.م)

٣- **عصر الانتقـال الأول:** الأسرات ٧-١٠ (من القرن ٢٢- ٢١ ق.م)

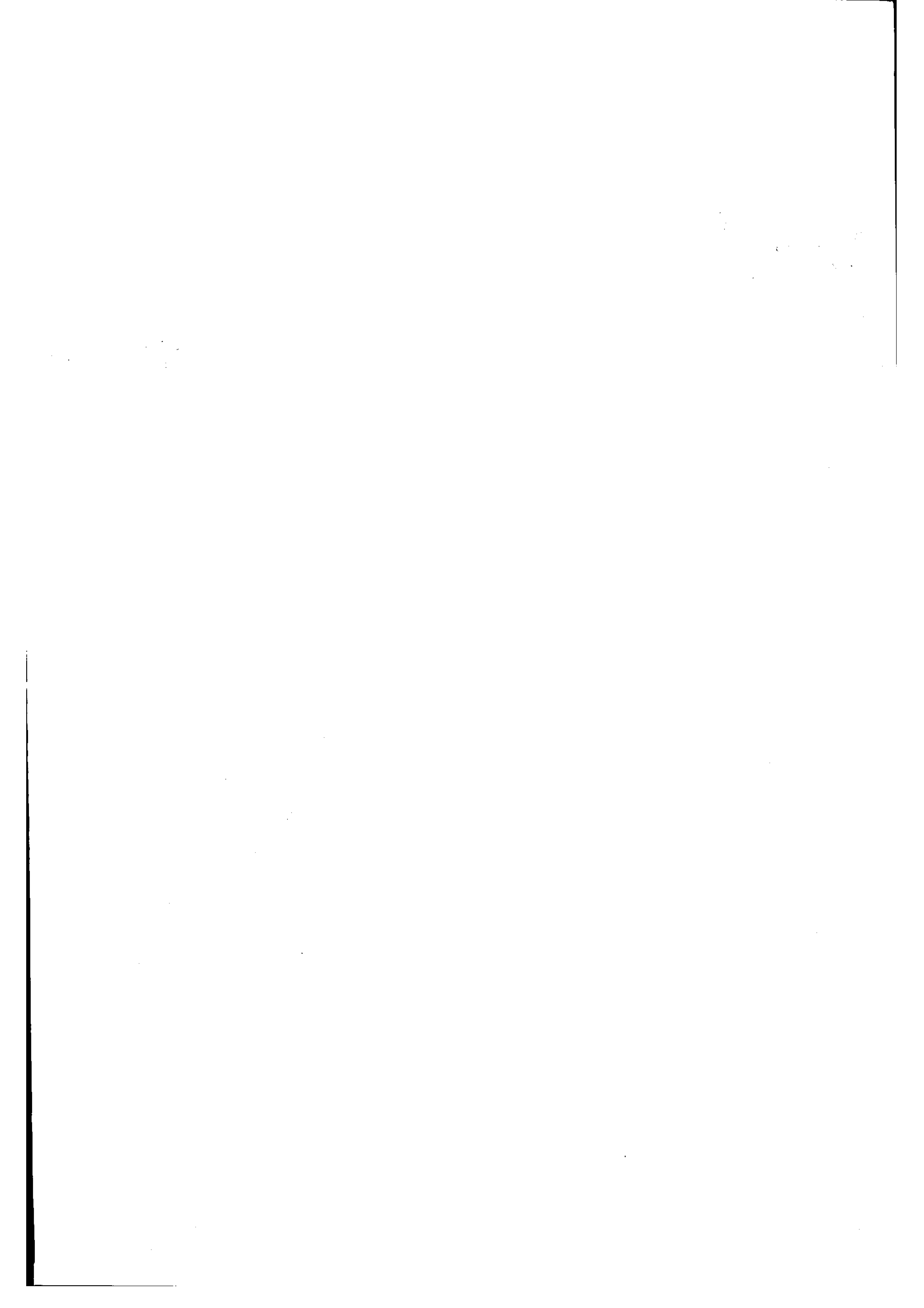
٤- **عصر الدولة الوسطى:** الأسرتان ١١-١٢ (من القرن ٢٢-١٨ ق.م)

٥- **عصـر الانـتقال الثانى والهكسوس:** الأسرات ١٣-١٧ (من القرن ١٨-١٧ ق.م)

٦- **عصر الدولة الحديثة:** الأسرات ١٨-٢٠ (من القرن ١٦-١١ ق.م)

٧- **العصور المتأخـرة:** الأسرات ٢١-٣٠ (من القرن ١١-٤ ق.م)

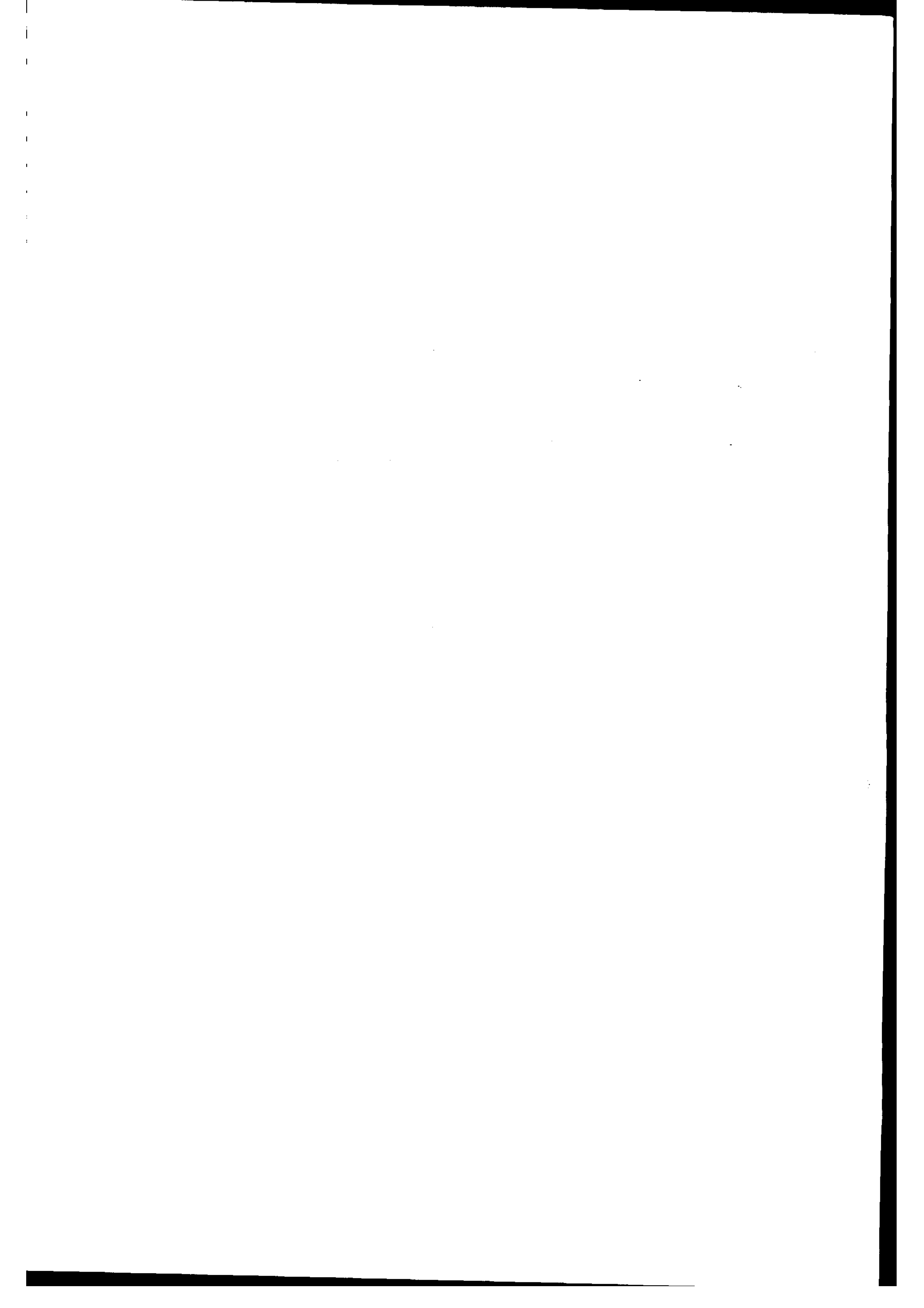
وانتهت عصور مصر القديمة بدخول الإسكندر الأكبر مصر عام ٣٣١ ق.م



الفصل الأول

أولاً: أدب الأسطورة

ثانياً: أدب القصة



أولاً: أدب الأسطورة

كان أدب الأسطورة مترابط الجوانب والأفكار لاسيما منذ احتضان رجـال الديـن (الكهنة) للأساطير لاتصالها بعقائدهم واحتضان الملوك لها لاتصـالها بذكـريات أجدادهـم، فـي حين أحب المصريون القدماء تلك الأساطير لأنها صورت لهم المعبودات فى هيئة بشرية تتفق مع تفكيرهم، فهـي تـأكل وتشـرب وتـتزوج كما يفعل البشر وهى ترضى وتغضب وتتخاصم مثلهم.

وتتأثر أساطير الآلهة بين الشعوب المختلفة بطبيعة البلاد التى تنشأ فـيها، فهـي تكـثر وتتعدد ألوانها فى البلاد التى تتعرض كثيراً لهجرات الشعوب الأخرى، وتقوم بها الحروب بين السكان الجدد والسكان القدامى، ففـي خـلال تلـك الحروب يظهر الأبطال الذين تحاك حولهم الأساطير، وينظر إليهم الناس فيما بعد نظرة احترام وتقديس، ثم يرفعونهم فى النهاية إلى مرتبة الألوهية ولعل من أهم تلك الأساطير:

١- أسطورة هلاك البشرية.

٢- أسطورة أوزيريس وست.

٣- أسطورة الصراع بين حورس وست.

٤- أسطورة الكذب والصدق.

٥- أسطورة حيلة إيزيس.

٦- أسطورة مولد حتشبسوت الإلهى.

١- أسطورة هلاك البشرية (نجاة البشر)

سُـجلت حوادث هذه الأسطورة على جدران بعض المقابر الملكية في البر الغربي لطيبة (مقابر وادى الملوك) وهي:

مقـبرة سيتي الأول ومقبرة رمسيس الثاني ومقبرة رمسيس الثاني ومقبرة رمسـيس السادس بجانب ما ورد منها على أحد مقاصير الملك توت عنخ آمون.

تحكـي الأسطورة ما اعتقده المصري القديم من ميل الإنسان إلى الشر والاستبداد حتى أغضب هذا الاستبداد والنزوع إلى الشر الإله الأكبر "رع" وهـنا أراد هـذا الإله أن يضع حداً لهذا الشر والاستبداد عن طريق الانـتقام من البشر، فأرسل عليهم ما يهلكهم ولكنه عاد فتدارك ما أمر به فأخذتـه الـرحمة بهم فعمل على نجاة البقية الباقية منهم من الهلاك وذلك لتستمر الحياة على الأرض ويكون ما حدث عبرة لمن بعدهم وتذكيراً بقوة الخالق الدائمة.

وتتمـيز هذه الأسطورة ببساطة التعبير والتكرار في الألفاظ الذي يستهوي عامة الناس.

تحكي هذه القصة أنه:

"عـندما كـان الإلـه رع (إله الشمس) ملكاً على الناس والآلهة ويسكن الأرض، وكـان الناس يتقدمون إليه بكل الولاء والطاعة والعبادة، ولكن بعـد أن تقدم به العمر وأصبح عجوزاً وتحولت عظامه إلى فضة ولحمه إلـى ذهـب وشـعره إلـى لازورد، أخذ البشر يتهكمون عليه ويصفونه بالضعف".

وعرف جلالته بما يدور بين البشر وبما يصفونه به فغضب وأمر الآلهة التى كانت تمشى وراءه قائلاً لهم.

ادعــوا إلى عينى (الإلهة حتحور) وكذا: "**شو**" و "**تفنوت**" و "**جب**" و "**توت**"[١] وكل الآلهة ومعهم الآباء والأمهات الذين كانوا معى عندما كنت أســكن "**نون**"[٢]، ادعوهم كلهم وأن يأتوا سراً حتى لا يراهم البشر فترتعد قلوبهــم، أحضروهم لى فى القصر الكبير لأستمع إلى نصائحهم فيما أفعله تجـاه البشــر. وتكلم "نون" قائلاً: أنت أيها الإله العظيم، أنت يا من تفوق خــالقك فى عظمتك، أنت الابن الذى فاقت قوته قوة أبيه الخالق، لا تفعل شــيئاً أكــثر مــن أن تجلــس على عرشك وتوجه عينك (حتحور) لتفتك بالمتآمرين عليك (البشر)، وعندئذ سوف يختفون من فوق الأرض ويتفرقوا فى الصحراء خوفاً مما قالوه عليك.

عندئذ أرسل الإله رع عينة (حتحور) فتتبعت البشر فى الصحراء وقامت بالفتك بالكثير ومنهم ورجعت إلى أبيها الإله رع فقال لها:

"أهلاً بحتحور لقد فعلت ما أرسلتك من أجله فكفى قتلاً للبشر، ولكن الإلهة حتحور ترد قائلة: وحق حياتك إننى انتصرت على الناس، وهذا شئ يحبه قلــبى وإننى سوف أقضى عليهم جميعاً، فقال لها رع: إننى سوف انتصر عليهم بنفسى فى أون (هليوبوليس) (عين شمس) وسأبيدوهم، وكفى ما قمت أنت به، لا تقتلى منهم أحداً".

---

(١) شــو وتفنوت وجب ونوت هم مجموعة من آلهة مدينة أون (عين شمس) صاحبة إحدى نظريات الخلق (التاسوع) فيرمز شو إلى الهواء وتفنوت إلى الرطوبة وجب إلى الأرض ونوت إلى السماء.

(٢) "نون" هو البحر الأزلى الذى ظهرت منه الشمس عند بداية الخلق.

لم تستمع الإلهة حتحور إلى كلام أبيها الإله رع واستمرت طوال الليل تفتك بالبشر وتسبح فى دمائهم، وخشى رع من استمرارها فى ذلك فدبر أمراً آخر لنجاة البشر من هذا الفتك. فقال الإله رع إلى من حوله: **"أحضروا لى بسرعة رسلاً يسابقون الريح فأحضروهم إليه فقال لهم: أسرعوا إلى إلفنتين (جزيرة أمام أسوان) وأحضروا لى من هناك كميات كثيرة جداً من المغرة الحمراء (الطفل الأحمر)، فقاموا بإحضار هذه المغرة الحمراء فأمر جلالته الخادمات بإعداد كميات كبيرة من الخمر وخلطها بهذه المغرة الحمراء لتعطيها اللون الأحمر فأصبحت فى لونها تشبه دماء البشر، ثم ملأ بها سبعة آلاف إناء".**

وفى الصباح أمر الإله رع أتباعه بحمل هذه الأوانى وأن تُسكب فى المكان الذى اعترفت حتحور بأنها سوف تفتك فيه بمن بقى من البشر.

وذهبت حتحور فوجدت الأرض (الحقول) كبركة كبيرة تعلوها طبقة من الجعة تشبه دماء البشر ورأت صورتها ووجها جميلاً فى هذا المكان المغمور بدماء البشر، فشربت منه واستطعمت طعمه، حتى سكرت فقامت بالرجوع ونسيت أمر البشر والفتك بهم.

وأقيمت الاحتفالات وفرح الإله رع بهذا العمل الذى أنقذ به بقية البشر من الهلاك.

تعد أسطورة هلاك البشرية من أروع أساطير المصريين القدماء فقد تحدثوا بها لكى يظهروا ما عُرف عن الإنسان من ميل إلى الشر وعن تعسفه ومغالاته فى الاستبداد إذا تُرك يفعل ما يريد دون رقيب أو حسيب وهذا يؤدى فى النهاية إلى غضب الإله، فأراد هذا الإله أن ينتقم من هذه

المخلوقات الضعيفة، ثم تأخذه الشفقة بهم فينجى بعضهم لتستمر الحياة على الأرض ويكون ذلك عبرة للبشر.

٢- أسطورة أوزيريس وست

تعد أسطورة أوزيريس هى أقدم الأساطير المصرية وأروعها حيث تبين هذه الأسطورة الصراع بين الخير والشر وحقد الأخير على الأول وتظهر كذلك فكر المصرى القديم عن بداية خلق الكون وبداية الحياة عليه، فقد تصور المصريون القدماء الأرض والسماء زوجين من ذكر وأنثى (جب ونوت) ثم وُلد لهذين الزوجين ابنان هما أوزيريس وست وبنتان هى إيزيس ونفتيس، ثم تزوج أوزيريس من أخته إيزيس وتزوج ست من أخته نفتيس وكان أوزيريس مثالاً للخير حيث سار فى الناس بالعدل والحكمة وعلم الناس الزراعة وشرع لهم الأحكام والقوانين، وعلمهم كذلك طريقة عبادة الآلهة فأحبه الناس واتخذوه إلهاً لهم، أما ست فقد امتلأ قلبه حقداً على أخيه لما وجده من حب الناس له، فقام بقتله وإبعاده إلى بلاد لبنان، ولكن بعد فترة استطاعت إيزيس زوجة أوزيريس بفضل سحرها أن تصل إلى مكان جثمان زوجها وتحضره إلى البلاد مرة أخرى، وبعد أن علم بذلك قام بتقطيع جسد أخيه إلى اثنين وأربعين قطعة وقام بإلقاء كل جزء فى إقليم (من هنا جاءت أقاليم مصر الاثنان والأربعون) وتعددت مزارات أوزيريس فى طول البلاد وعرضها.

وتظهر الأسطورة أن إيزيس ظلت وفية لزوجها أوزيريس، فقد استطاعت بسحرها أن تُرد إليه روحه لفترة من الزمن ثم حطت عليه كما يحط الطائر، فحملت منه حملاً ربانياً ووضعت منه ابنهما "حورس" الذى أصبح وريث أبيه فى البلاد.

وعادت إيزيس مرة أخرى ووقفت ضد ست وشكته للأرباب حتى شـب ابنها حورس وشرع ينتقم من قاتل أبيه وتم له النصر فى النهاية بعد أن فصل القضاء بينه وبين عمه ست بأحقيته فى عرش أبيه.

صـورت لـنا أسطورة أوزيريس وإيزيس مع أخيهما ست قصة الخير والشر، فهى قد صورت الأخوين (أوزيريس وست) يختصمان ويحقد أحدهما علـى الآخر وهذا مع الفارق يشبه خصام ابنى آدم عليه السلام (هابيل وقابيل) حين قربا إلى الله تعالى قرباناً **(فتُقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله).**

وكذلـك صـورت الأسـطورة كثيراً من طبائع البشر وعواطفهم وأهوائهـم، صـورت الحـب والكره، والوفاء والغدر، والرحمة والقسوة، وأظهـرت الأسطورة أن الباطل مهزوم فى النهاية مهما طال وأن النصر للحق وأهله مهما طال الكفاح.

ويرى بعض المؤرخين أن هذه الأسطورة تصور حياة المصريين وتجـاربهم فى تلك الحياة، فربما كان أوزوريس يمثل النيل وتكون إيزيس تمـثل الأرض التى تشقى ببعد النيل عنها، وتسعد بعودته إليها، فأوزيريس كالنـيل يأتى من بعيد ويهبط مصر، وأوزوريس علم الناس الزرع كذلك علمهم النيل الزرع وبناء المدن والسدود كما أن المصرى صور أوزوريس يحارب الشر وينتصر عليه مثل النيل الذى يحارب الجفاف وينبت الأرض.

وكـان المصـريون يقومون بتمثيل أسطورة أوزوريس وست وما حـدث بيـنهما كـل عـام تذكيراً لهم بما تم فيها وإحياءً لذكرها وذكرى أوزوريس.

٣- أسطورة الصراع بين حورس وست

انتشرت أسطورة الصرع بين حورس وست بين المصريين القدماء ويلاحـــظ فيها أنهم قد نظروا إلى آلهتهم نظرة بشرية فيها الشئ الكثير من ضـــعف أولـــئك الآلهـــة والســـخرية منهم. وتمثل هذه الأسطورة القضاء وأحكامـــه وتقـــدم فكرة عن كل الخطوات التى تستلزمها قضية ما، وتبين أطوارهـــا المختلفة فى ساحة القضاء فضلاً عن أنها أنما تتعلق بشخصيات اعتـــبرها المصـــرى القديم آلهة له، ولكن الأسلوب الشيق الذى نسجت به الأسطورة يجعلها صورة حقيقية لما يحدث بين الناس وخاصة أن الأسلوب الذى استخدم فيها جاء بألفاظ تستخدم فى الحياة اليومية.

والأسطورة تمثل حكاية شعبية قوية ربما للتسلية أكثر منها للغرض التعليمى، فأحداث القصة دارت فى المحكمة العليا للآلهة فى محاولة لإنهاء الـــنزاع الـــذى اســـتمر ثمانين عاماً أمام أعضاء التاسوع وكبار الأرباب برئاسة "رع حور آخت" دون الاهتداء إلى حل لها، وكان موضوع القضية هـــو عرش مصر الذى يطالب به" حورس " و"إيزيس" استناداً إلى القانون ويطالب به "ست" استناداً إلى قوته وسطوته، ذلك أن "ست" كان قد اغتصب العـــرش بعـــد أن قتل أخاه أوزوريس الذى أصبح بعد ذلك ملكاً فى العالم الآخـــر غـــير أن إيـــزيس التى كانت قد حملت بولدها حورس من روح أوزوريس، وعنيت بتربيته حتى بلغ أشده وأخذ يطالب بعرش أبيه حورس، وتســـاعده هـــى فى ذلك، وقامت الحرب بين حورس وست، وعقد مجلس الآلهة محكمة للفصل بينهما، غير أن المحكمة انقسمت إلى فريقين، أحدهما يؤيد حورس والأخر يؤيد ست، وكان الإله آتوم يميل إلى ست القوى على

حيـــن كان قرار المحكمة فى صالح الوريث الشرعى حورس، وبنفس هذا القرار انتهى الصراع أخيراً بتتويج حورس ملكاً على عرش مصر.

ومهمـــا كانـــت القيمة الأدبية لهذه الأسطورة فإنها كانت من أحب المواضـــيع إلـــى قلوب المصريين لأنها ترمز إلى قصة النزاع بين الخير والشـــر والـــتى تنتهى بانتصار الخير وحصول كل صاحب حق على حقه ومـــن ناحـــية أخـــرى فقـــد كان المصريون يقومون بتمثيل حوادث هذه الأسطورة فى كل عام فى عيد أوزوريس فى أبيدوس، وكان الكهنة يقومون بـــدور الآلهة ويشترك الناس فى تمثيل المعارك، وكان الناس يذهبون إلى أبـــيدوس كـــل عـــام ليشهدوا تلك التمثيليات التى كانت تستغرق عدة أيام، وربما لهذا اعتقد بعض الباحثين فى تاريخ المسرح أن الأسطورة هى أقدم مـــا نعرفه عن التمثيليات فى العالم كله، فقد كان المصريون يمثلونها قبل ظهور المسرح اليونانى بما يقرب من ألف وخمسمائة عام.

وردت هـــذه الأســـطورة فى بردية يرجع تاريخها إلى عهد الملك رمسيس الخامس (الأسرة العشرين) ولقد أعيدت كتابتها من برديات ترجع إلى أيام الأسرة الثانية عشرة، كما عثر على أجزاء منها فى بعض برديات الدولـــة الوسطى والدولة الحديثة مما يدل على حب المصريين القدماء إلى نسخها والاستمتاع بها. [١]

٤- أسطورة الصدق والكذب

تشـــبه أســـطورة الصدق والكذب أسطورة أوزيريس وست وقصة الأخويـــن غـــير أنها ذُكرت باسمين رمزيين هما "**الصدق والكذب**" يمثلان أخوين عاشا بين البشر.

وأسلوب الأسطورة بسيط وتعبيراتها متشابهة وفيها شئ من خوارق العادات كما أنها أظهرت لنا عادات المصريين القدماء فى عصر الرعامسة، كاستخدام الأعمى من الرجال فى حراسة الأبواب، وإيداع الثور عند راع فى مقابل أجر ضئيل، فضلاً عن تقديم صورة حية لحياة الفلاح، وكذا تقديم صورة للحياة المدرسية.

تذكر الأسطورة أن "**الكذب**" أراد أن يكيد لأخيه "الصدق" فترك خنجره وديعة لديه، ثم سرقه منه، وعاد فطالبه به، ولما اعتذر له أخوه عن ضياعه لم يقبل عذره، كما لم يقبل أن يعوضه عنه، وشكاه إلى الأرباب مدعياً أن سلاح خنجره كان فى ارتفاع الجبل وأن مقبضه فى ارتفاع الشجر، ففوض له الأرباب التعويض الذى يريده، فأصر على أن يقتلع عينى أخيه، وأن يستخدمه حارساً لبابه، فأجابه الأرباب إلى ما أراد، وأذل الكذب أخاه وجعله حارساً لبابه، ولكنه كان كلما نظر إليه أحس بخزيه وبأن الأعمى ما زال يحتفظ بوقاره وجماله، ومن ثم فقد دبر أمر قتله، وعهد بذلك إلى عبدين عنده، غير أنهما لم ينفذا جريمته وتركا "الصدق" عند سفح الجبل.

وبعد فترة من الوقت رأت امرأة جميلة الصدق، فأحبته وتزوجته، ولكنها لم تعلن هذا الزواج حتى لا يعايرها الناس به، وخصصت للزوج غرفة بجانب باب دارها، ومرت الأيام ورزق الزوجان بطفل تعهدته الأم بالتربية وأخفت عنه سر أبيه وألحقته بالمدرسة، وتعلم الطفل فنون الرياضة والنزال وتفوق على أقرانه بالمدرسة، وكان زملاؤه يعيرونه بأنه لا أب له، وعندما عرف الحقيقة وأن أباه هو ذلك البواب الأعمى كظم غيظه وألمح إلى أمه أن موتها خير من حياتها قائلاً لها:

"كان خيراً لك أن تجمعى أهلك حتى يأتوا لك بتمساح يلتهمك"

وفـــى نفس الوقت أخذ يفكر فى أن يكيد لعمه "الكذب" كما كاد هو لأبـــيه من قبل، فاشترى ثوراً وعهد به إلى أحد رعاة عمه، وطلب منه أن يرعاه حتى يعود من سفره فى مقابل أجر أعطاه إياه.

وفـــى يـــوم مـــن الأيام رأى الكذب الثور فأعجب به وذبحه رغم معارضة راعيه، ومرت الشهور وجاء الغلام وعلم بما حدث، فشكا الراعى وســـيده إلى الأرباب وادعى أن ثوره كان ينجب ستين عجلاً كل يوم، وأنه إذا وقـــف وســـط الدلتا بلغ أحد قرنيه جبالها الشرقية، وبلغ الآخر جبالها الغربـــية، وتعجـــب الآلهة (القضاة) من دعواه واتهموه بالمبالغة، فأجابهم: **"وهـــل رأيتم من قبل خنجراً بضخامة الخنجر الذى حُكم على أبى بالعمى من أجله".**

وهنا علم الأرباب أن الكذب قد خدعهم فردوا على الصدق بصره، وأمروا بجلد الكذب مائة جلدة، وفقء عينيه، وبأن يصبح بواباً لأخيه جزاءاً على ما فعله بأخيه من قبل.

عـــبرت أســـطورة الصـــدق والكذب عن العقوبات البدنية فى هذا العصر وأظهرت تربية الابن الصالحة ومطالبته بحق والده واستجابة الآلهة له وعودة الحق إلى أصحابه وعقاب الظالم مهما طال الزمن.

٥- أسطورة حيلة إيزيس

تعتبر هذه الأسطورة من الأمثلة الطريفة فى الشعر القصصى عند المصريين، وهى تصور لنا كيف أن إيزيس خدعت الإله رع حتى أخبرها باسمه الحقيقى، ونستدل من ذلك أن المصرى القديم اعتقد أن هناك علاقة

خفية بين الإنسان واسمه وأن الاسم إنما يكون الجزء الحى من الإنسان بل هــو العنصــر الــذى يقــوم شخصيته وقوته ولذلك اعتاد القوم أن يسمى الشــخص الواحــد باسمين اثنين: الاسم الأكبر والاسم الأصغر، وقد اعتاد المصــرى القديــم أن يخفى اسمه الأكبر وأن يظهر اسمه الأصغر ولذلك اعتقد الناس أن محو اسم الشخص من مقبرته إنما هو عمل كان لقتله للأبد، ومــن هنا نستطيع أن نفهم السر وراء حرص الإله رع على إخفاء اسمه، وسبب خداع إيزيس له حتى وصلت إلى معرفته.

تــرجع أسطورة حيلة إيزيس إلى أيام الأسرة التاسعة عشرة وهى مكتوبة على بردية محفوظة الآن فى متحف تورين.

وتبدأ البردية بالتعريف بحكمة إيزيس وقوة دهائها فتقول:

" كانــت إيــزيس امرأة حكيمة فى قولها، وكان عقلها فى حيلته أكثر من ملاييــن مــن الرجال، وتساوى ملايين من الأرواح، كانت تعلم كل ما فى السماء وما فى الأرض مثل رع الذى كان يعلم ما يحتاج إليه أهل الأرض، ودبرت هذه الإلهة فى نفسها أن تعلم اسم الإله الأعظم ".

ثــم تصف الأسطورة حالة رع فتقول: "... كان رع يدخل السماء كل يوم على رأس رجال سفينته (إشارة إلى رحلة الشمس فى سفينة عبر السماء)، وكــان يجلــس على عرش الأفقين، ولكن الشيخوخة الإلهية جعلت اللعاب يسيل من فمه، فبصق على الأرض ونزل لعابه فوق التراب...."

واســتغلت إيــزيس الموقف فأخذت التراب واللعاب وصنعت منه ثعباناً ووضعته فى طريق رع فعضه الثعبان عضة عظيمة اهتز لها كيانه، وعندئذ ذهبت إليه إيزيس وأخبرته بأنها تستطيع بقوة سحرها أن تشفيه مما

هــو فــيه بشرط أن يخبرها عن اسمه الخفى (الأكبر) لأنه لو رقى به أى إنسان من لدغة الثعبان فإنه يعيش"، فاخذ رع يعدد مناقبه وأعماله:

"... أنى أنا الذى خلقت السماء والأرض وأرسيت الجبال وسويت مــا علــيها، أننى الذى خلقت الماء وجعلت الإلهة "مح - ورت" تأتى إلى الوجــود، أنا الذى خلقت الثور للبقرة، وجعلت التناسل فى العالم، أنا الذى أنشــأت الســماء ووضعت أسرار الأفقين وأحللت فيهما أرواح الآلهة أننى الــذى فتح عينيه فكان الضوء وأغمض عينيه فكان الظلام أننى الذى يأمر النيل فيفيض، أننى من لا يعرف الآلهة اسمه، أننى خالق الساعات ومنشئ الأيــام، أنــنى الذى أمرت بالأعياد وخلقت مجارى الماء، أننى خالق نار الحياة لأنشئ أعمال الكون، أننى "خبرى" فى الصباح و "رع" فى الظهيرة و "أتوم" فى المساء".

ولكــن الســم لم يغادر جسد رع فتقدمت منه إيزيس وقالت له أن اسمك الحقيقى لم يكن بين تلك الأسماء فصمت رع واشتدت به الآلام ومع ذلك ظل يحتفظ باسمه، وأخيراً طلب منها أن تقترب منه وتضع أذنها على فمه ليهمس به، وابتعد عن الآلهة الآخرين حتى لا يسمعوه، وأخيراً عرفته إيزيس ورقته به فعوفى وأصبح قسمها هى الرقية التى كان يتلوها السحرة ليشفوا بها لدغة الثعبان.

توضــح لنا هذه الأسطورة تخيل المصريين لآلهتهم، فقد أظهروهم لنا وهم فى ضعفهم يحيون حياة شبيهة بحياة البشر، من حب وكره، وانتقام وشفقة وعفو ومرض وآلام.

٦- أسطورة مولد حتشبسوت الإلهى

كانت ولاية العرش فى مصر القديمة تنحصر فى الابن الملكى الأكبر من الدم الملكى الخالص (من أبويين ملكيين) وهكذا كانت القاعدة الثابتة أن يعتلى عرش البلاد من تسرى فى عروق أمه وأبيه الدماء الملكية النقية، أما إذا كان ابناً لزوجة مصرية غير ملكية، فكان عليه أن يلجأ إلى الزواج من أميرة من الفرع الملكى الخالص، ليقوى بذلك شرعية مركزه ويصبح أهلاً لتولى عرش مصر، ومع ذلك فإن زوج الأميرة الملكية كان يعتبر مجرد أمير وأما أبناؤها (ثمرة هذا الزواج) فقد كانوا يعتبرون ورثة شرعيين، وفى بعض الحالات قد يصبح زوج الملكة الوارثة ملكاً حين تكون هذه الملكة كبرى نساء البيت الحاكم عمراً كأن تكون أرملة ملك أو كبرى بناته.

يتضح مما سبق أن العرش المصرى كان ينتقل عن طريق المرأة ومن هنا كانت الزوجة الملكية الكبرى للملك هى الوريثة التى يستطيع هذا الملك الوصول إلى العرش عن طريق الزواج بها، ولم يكن مولد الملك مهما، بقدر ما يكون مولد الملكة ولذلك يقال: " **أن الملكة ملكة بحق المولد، وأن الملك ملك بحق الزواج** ".

وهذا ما جعل نظرية تولى العرش فى مصر تنص على أن تكون أم الملك من نسل ملكى خالص، فهى إما أن تكون ابنة ملك أو زوجة ملك أو أم ملك وقد تكون الثلاثة معاً.

هناك بعضاً من الملوك المصريين لجأوا فى تبرير شرعيتهم للعرش إلى قصص الولادة الإلهية كما فعلت حتشبسوت وأمنحتب الثالث

فى نصا الولادة المشهورين، الأول فى معبد الدير البحرى فى طيبة الغربية والثانى فى معبد الأقصر فى طيبة الشرقية ويتحدث الأول عن ولادة حتشبسوت من الإله آمون ومن "أحمس" زوجة تحوتمس الأول ويتحدث الثانى عن ولادة أمنحتب الثالث من الإله آمون ومن "موت أم ويا" زوجة تحتمس الرابع، وفى كلا النصين نرى الإله آمون يتخذ شخصية "الزوج الأب" ثم يتصل بالملكة الأم (أحمس أو موت أم ويا) اتصال الرجل بزوجته فتحمل الملكة وتنجب الملك.

أما عن قصة ميلاد حتشبسوت الإلهى فيذكر التاريخ أن الملك "تحوتمس الأول" لم يرزق بوريث ذكر من زوجته الرئيسية "أحمس" وإنما وضعت له بنتا دعوها "حتشبسوت" كان من المفروض أن تخلفه على العرش، لولا أو سوابق حكم الملكات فى مصر القديمة لم تشجعه ولم تشجعها على ذلك ولذلك فقد زوج تحوتمس الأول ولده تحوتمس الثانى من ابنته حتشبسوت صاحبة الحق فى العرش وأجلسه خليفة له على عرش مصر، غير أن زوجته وأخته حتشبسوت كانت قوية الشخصية ونجحت فى أن تؤكد شخصيتها فى عهده وفى أن تمهد لخلافتها إياه،ثم مات (تحوتمس الثانى) بعد أن أنجب منها بنتين، كما أنجب ولده "تحوتمس الثالث" من زوجة غير ملكية هى "إيزيس"، وهو الذى خلفه على العرش تحت وصاية عمته وزوجة أبيه حتشبسوت، غير أن هذه الوصاية سرعان ما أصبحت حكماً حقيقياً، عندما أبعدت حتشبسوت تحوتمس الثالث عن العرش وانفردت بحكم مصر حوالى اثنين وعشرين عاماً.

ظهرت حتشبسوت بمظهر الرجال وارتدت زيهم وتلقبت بلقب ملك وليس ملكة، ولم تكتف بذلك وإنما زعمت لنفسها فى أسطورة مولداً إلهياً

لهـا مـن الإله آمون نفسه وسجلت ذلك على معبد الدير البحرى فى طيبة الغربية، وتذكر الأسطورة:

" أن مجلس أرباب الوادى انعقد برياسة آمون التشاور فيمن يخلقوه لـيجلس على عرش البلاد، ويتقدم الإله "تحوت" إلى آمون ويذكره بأحمس الجمـيلة زوجة الملك تحوتمس الأول، وإذا بآمون يعلن للآلهة بأنه سيهب الملكة الجميلة أحمس مولوداً من صلبه يعتلى عرش البلاد، وأنه قضى أن يكون الولد أنثى. وسرعان ما تحققت المعجزة بأن مضى آمون إلى قصر الملكة أحمس فى غيبة زوجها تحتمس الأول فرأت فيه زوجها، فجلس منها مجلـس الـرجل من المرأة ونبأها بما سوف يكون، ففرحت بذلك وتهللت واستبشـرت بذلك، وأخبرها آمون بأنها ستضع أنثى وسوف يكون اسمها "حتشبسوت خنمت آمون" بمعنى "ذروة النبيلات خليلة آمون".

ثـم أوحـى آمـون إلى الإله "خنوم" الإله المتكفل بخلق البشر أن يصـور الجنيـن مـن صلصال قائلاً له: "لتصنع ابنتى هذه وقرينتها من أعضائى ولتشكلها بجمال لا مثيل له بين الآلهة، اصنع لى ابنتى هذه التى أنجبـتها، لقد وهبتها الحياة والسعادة والقوة، سأمنحها كل شئ لتصبح مثل رع الأبـدى، فأجاب خنوم سأصنع لك ابنة اسمها حتشبسوت سوف يفوق جمالها جميع الآلهة حتى يتفق مع مكانتها كملك مصر العليا والسفلى.

ثـم تسـتمر الأسطورة فى وصف ساعة ميلاد حتشبسوت وكيف حضـر الآلهـة تلك الساعة وفرح تحوتمس الأول عندما بشر بميلاد ابنته حتشبسوت وكان راضياً شاكراً وأعلن ذلك على الناس.

وهكـذا أرادت حتشبسوت وأتباعها بتلك القصة عن مولدها الإلهى أن تـزيل مـن أذهان القوم كراهيتهم لحكم الإناث، ولكننا لا ندرى مدى

تصـــديق المصريين لهذه الإدعاءات الأسطورية ولكن من الناحية السياسية كـــان اعتقاد المصريين القدماء بأن الأمر الواقع فى ارتقاء العرش لابد من تأييده بسند من الدين، يرضى الكهنة والخاصة وعامة الشعب.

ثانياً: أدب القصـــة

نشـــأت القصـــة القصـــيرة فى مصر القديمة، وكانت تقص على سـامعيها للتمـــتع بها دون أى هدف آخر، وقد عرف المصريون القدماء الأدب القصصـــى منذ فجر التاريخ وبرعوا فى كتابته ولديهم ألوان رائعة منه، منها ما يصور بعض ما حدث فى أيامهم، ومنها الخرافة يقصدون من روايـــتها العبرة والموعظة الحسنة، ولذلك حوت القصص فى سياقها على حقـــائق موضـــوعية وعلى صياغة فنية فى الأسلوب وعلى صور خيالية تصـــور المعجـــزات وفنون السحر وعلى آراء خاصة وعلى أمانى عامة يتمناها القاص والسامع على السواء.

وبالرغم من أن الكتابة قد عرفت فى مصر القديمة فى بداية الأسرة الأولـــى، وترك لنا المصريون القدماء ثروة كبيرة من النقوش والنصوص ولكـــن لـــم يعثر حتى الآن على أى مثال للقصة من عصر الدولة القديمة، وربمـــا كان هناك شئ منها وضاع أو ما زال باقياً وستظهره الأيام، وإن كـــان يستدل من بعض الإشارات التى وردت فى نصوص الأهرام(٣) على وجـــود أســـاطير وقصص عن الآلهة ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، والقصص التى وصلت إلينا يرجع تاريخها إلى ما بعد عصر الدولة القديمة بعد أن شبت ثورة اجتماعية عامة فى البلاد ازدهر بعدها الأدب بوجه عام، وارتقت أساليبه ووجد تشجيعاً من حكام الأسرتين التاسعة والعاشرة.

وفى عصر الأسرة الثانية عشرة عندما زادت صلة مصر بجيرانها زاد شـــأن القصـــة التى وصلت إلى أرق ما كتبه المصريون القدماء، وقد

---

(١) نصوص الأهرام، هى مجموعة تعاويذ دينية سجلت فى نهاية الأسرة الخامسة على جـــدران غـــرفة الدفن للملك أوناس ومن تلاه من ملوك الأسرة السادسة وسجلت بغرض استفادة الملك منها بعد مماته.

استمر حب المصريين للقصة إلى ما بعد عصر الدولة الوسطى، ففى الدولة الحديــثة ظهــرت سلســلة من القصص بعضها تاريخى وبعضها خرافى، ولكنها تتميز ببساطة الموضوع والأسلوب.

ولعل أقدم تلك القصص التى سجلت على بردية أطلق عليها "بردية وســتكار" وتعــرف القصـــة باسم "قصة خوفو والسحرة" وتناولت القصة روايـــات السحر وأهله وبعض ما يأتون من فنونه وأثر ذلك كله فى حياة الـــناس ثم تتطرق القصة لتصبح بمثابة دعاية سياسية لأول ملوك الأسرة الخامســـة الذيـــن تولوا عرش البلاد ولم يكونوا من السلالة الملكية ولكن القصة تبرز أن ارتقاءهم لعرش البلاد جاء رغبة لإله الشمس رع.

وبعـــد الـــثورة الاجتماعية الأولى فى البلاد ازدهر الأدب ازدهاراً عظـــيماً وظهـــرت صورة عن الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصـــر القديمة، وأروع القطع الأدبية التى تنسب إلى تلك الفترة هى "قصة الفـــلاح الفصـــيح" والـــتى تعد حسنة الأسلوب وتبين شكوى الفلاح الذى أُغتصـــب منه متاعه بأسلوب رائع فيه كثير من الصيغ الجمالية وفيه كثير مـــن الـــتهكم الرائع من ضيق الناس بحال البلاد من جراء الفوضى التى سادتها.

ثـــم تـــأتى أيـــام الدولة الوسطى ونجد "**قصة سنوهى**" من أجمل القصص المصرية القديمة، حيث تقص القصة عن هذا الرجل سنوهى الذى فـــر إلـــى فلسطين بعد مقتل الملك أمنمحات الأول (الأسرة الثانية عشرة) وأقام بها فترة كبيرة من الزمن حتى عفا عنه الملك سنوسرت الأول وعاد إلى مصر مرة أخرى، وتعد قصة سنوهى من القصص الواقعية التى تلقى ضـــوءاً علـــى الحـــوادث السياســـية فى تلك الفترة وتصور أحوال البلاد

السياســية والاقتصادية وعلاقة مصر بجيرانها، وكذلك تظهر أوجه الحياة فــى فلســطين، وقد ظل المصريون ينسخون تلك القصة ويتدارسونها وقتاً طويلاً بعد زمنها الأصلى.

وأيضــاً توجد قصة ترجع إلى عصر الدولة الوسطى يطلق عليها "**قصة البحار الغريق**" التى تشبه إلى حد كبير "**قصص السندباد البحرى**" فى "**ألف ليلة وليلة**" فهى تحدثنا عن بحار تحطمت سفينته وحملته الأمواج إلى جزيــرة بعــيدة بهــا ثعبان ضخم أكرمه وظل يرعاه حتى عاد إلى وطنه محمــلاً بالهدايــا من تلك الجزيرة، وقد وُضعت القصة فى أسلوب بلاغى رقــيق يعبر عن العواطف ويظهر روح البطولة والمجازفة ويصور حياة الــناس تصويراً دقيقاً، وكذلك تشير القصة إلى حب المصرى القديم لبلاده وحنين العودة إليه.

ومــن عصــر الدولــة الحديثة والعصر المتأخر يوجد الكثير من القصص المتنوعة والتى تظهر أفكاراً وأهدافاً معينة، فهناك "**قصة فتح يافا**" الــتى تبين لنا كيف أصبح المصريون لديهم المهارات الحربية التى تطلبها هــذا العصر، وكذلك "**قصة ون آمون**" التى تشير إلى مدى ضعف النفوذ المصرى فى آسيا بعد أيام القوة والمجد، وكذلك "قصة الأخوين" التى تمثل الصراع الدائم بين إغراء المرأة وعفة الرجل الذى لا يستمع لها ومحاولتها للإيقاع به ثم الانتقام منه.

و "**قصــة الصــراع بيــن الحــق والباطل**" التى تعد من القصص التعليمــية الــتى يقصد بها العبرة والموعظة الحسنة، وسوف نعطى نبذة مبسطة لبعض تلك القصص مثل:

١- قصة خوفو والسحرة. **٢- قصة الفلاح الفصيح.**

٣- قصة سنوهى. ٤- قصة الأخوين.

٥- قصة البحار الغريق.

١- قصة خوفو والسحرة

تعتبر قصة الملك خوفو والسحرة عدة قصص تنظمها قصة واحدة تصور لنا ما كان منتشراً بين الناس فى عهد الدولة الوسطى من أقاصيص نسبوها إلى القدماء ليضفوا عليها هالة من التعظيم، إذ اختاروا نسبة حوادثها إلى عهود ملوك اشتهروا فى التاريخ، وكانت أعمالهم وآثارهم ماثلة أمام عيون من جاءوا بعدهم. وكانوا ينظرون إلى أيامهم نظرة إعجاب واعتزازا.

وعندما نقرأ هذه القصة نلمس فى أسلوبها والغرض منها روح قصص "ألف ليلة وليلة" فهى سلسلة من القصص تعتبر الأولى من نوعها، وموضوع هذه القصة هو أن أبناء الملك خوفو أخذوا يقصون عليه واحداً بعد الآخر أحاديث عجيبة، عن أعمال السحرة، وما يمكنهم أن يأتوا به من معجزات، وما يستطيعون الإتيان به من أخبار الغيب وما سيحدث فى المستقبل.

وأول هذه القصة مكسور، ولهذا لا نعرف كيف كانت بدايتها أو محتويات ما غاب منها أو من كان هو ابن الملك خوفو الذى كان يقص عليه قصه حدثت فى عهد الملك زوسر فإن الجزء المحفوظ من البردية لا يزيد شيئاً على ترحم الملك خوفو على جده زوسر وتقديم القرابين له وإلى ذلك الساحر الذى عاش فى عهده الذى كسر اسمه كذلك.

ونستطيع أن نميز فى هذه القصة مرحلتين متباينتين، المرحلة الأولى ما قصة أولاد الملك من قصص السحرة، والمرحلة الثانية تتصل بأمر الأطفال الثلاثة الذين سينتقل إليهم زمام الحكم فى البلاد، ووصل مؤلف البردية بين المرحلتين بإقحام البحث عن مفاتيح الإله تحوت الذى رمز له بطائر الأيبس وعبد أول الأمر فى الدلتا فى إقليم برتحوت (هرموبوليس بارفا – تل بله الحالية فى شرق الدلتا) وهو الإقليم الخامس عشر من أقاليم الدلتا ثم وجد لنفسه موطناً جديداً بعد ذلك فى الأشمونين بمحافظة المنيا. وقد نسب كهنته فى الأشمونين إليه فضل خلق العالم بعد أن خلق نفسه بنفسه فهو على ذلك ـ حسب نظريتهم ـ الموجد الأول ـ والخالق الأول الذى خرجت منه الآلهة جميعاً. وقد اعتبر الإله تحوت الإله الصديق الوفى للآلهة وبنى الإنسان وقد قُصد من إقحام الإله تحوت فى هذه القصة أن يخلق بذلك مناسبة لذكر الأطفال الثلاثة الذين أسسوا فيما بعد الأسرة الخامسة.

وتكون هذه القصة متماسكة الأجزاء كان الغرض منها أولاً تسلية الملك وإدخال السرور على قلبه، وانتهت فى مرحلتها الأخيرة بالدعاية السياسية لملوك الأسرة الخامسة وأنهم من نسل الإله "رع ولذلك أسس كل ملك منهم معبداً للشمس قائماً بذاته.

وتعرف البردية التى كتبت عليها هذه القصة باسم "بردية وستكار" ولم يصل إلينا منها سوى نسخة واحدة، ولسوء الحظ فإن مقدمة هذه النسخة مفقودة بالكامل، وأحضر هذه النسخة أحد الرحالة الإنجليز من مصر واشتراها متحف برلين من مقتنيات لبسيوس الذى أخذها من صاحبتها الآنسة وستكار حينما كان مقيماً فى إنجلترا فى الفترة من ١٧٣٨- ١٨٣٩

ومــن هــنا فقد عرفت هذه البردية باسم "**بردية وستكار**"، ويحتمل أنها قد كتبــت فى عهد الأسرة الثانية عشرة ولكنها من غير شك تتضمن قصصاً تــرجع إلــى قــرون بعيدة، وتضمنت أسماء ملوك حكموا مصر منذ آماد بعيدة.

ولم يحفظ من هذه القصة ــ كما سبق القول ــ سوى خاتمتها وفيها يأمــر الملــك خوفــو اعترافاً منه بأعمال الملك تثررخت وساحره رئيس المرتليــن (الكاهن المرتل هو الكاهن المتعلم الذى يعرف الكتب المقدسة، وهــو من السحرة المتفوقين) بتقديم قرابين توضع لهما فى قبريهما، وتبدأ البردية بأنه فى يوم من الأيام عندما كان الملك خوفو يحكم البلاد طلب من مستشاره الذى يقف أمامه أن يجمع له أولاده، الذين حضروا ووقفوا أمامه، وحينــئذ قــال لهــم، أيكــم يســتطيع أن يقص قصصاً عن أعمال السحر والسحرة؟.

وبعد هذه المقدمة تتوالى القصص فبعد القصة التى حدثت فى عهد الملــك نثررخــت قام الأمير خفرع (مشيد هرم الجيزة الثانى) وقص على والــده قصة أطلق عليها بعض علماء المصريات قصة "**الزوجة الخائنة**"، وقد حدثت هذه القصة فى عهد الملك نب كا.

وقــد ورد فى هذه القصة أن الأمير خفرع قال لوالده سوف أقص علــى جلالتك أعجوبة حدثت فى عهد والدك الملك نب كا حينما ذهب إلى معبد المعبود بتاح فى منف، وكان أوبا أونر كبيرا للكهنة المرتلين فى ذلك المعبد (ارتبط المعبود بتاح بمدينة منف وكان من أوائل الآلهة التى ظهرت فى هيئة بشرية منذ ما قبل عصور بداية الأسرات، وكان بتاح سيداً للفنون حامياً للفنانين.

وأخـــذ الأمير خفرع يقص على والده قصته عن الكاهن أوبا أونر وتـــتلخص فى أنه كان متزوجاً من امرأة أحبت أحد سكان المدينة وأخذت تراســـله عـــن طريق إحدى خادماتها وتبعث إليه بالهدايا حتى قبل أخيراً الاتصال بها والحضور إليها وجاء فى هذه القصة:

كـــان أوبا ونر هذا زوجه قد أغرمت بحب أحد سكان المدن، وقد كانـــت على اتصال معه بواسطة خادمة لها، وقد أرسلت له صندوقاً مفعماً بالملابس هدية له وحضر مع الخادمة.

وفى أحد الأيام قال ذلك الرجل لزوجة أوبا أونر أن لزوجها منزلاً خلوياً على حافة بحيرة يملكها، فلماذا لا يذهبان إليه ويتمتعان فيه. فأرسلت زوجـــة أوبـــا أونـــر إلى مدير البيت المشرف على البحيرة تأمره بإعداد المنزل، وذهبت الزوجة مع صديقها فقضيا فيه يوماً يتناولان الشراب حتى حـــل المســـاء، ولما حان وقت الغروب ذهب الرجل إلى البحيرة ليستحم، ووقفت الخادمة لقضاء حاجته كأنها خادم حمّام وقد رأى الحارس كل ذلك.

ولما أضاءت الأرض وحل اليوم التالى (يلاحظ أن هذا التعبير من التعبيرات الثابتة فى القصص فى الأدب المصرى القديم) ذهب مدير البيت وأخـــبر ســـيده بالأمـــر فقال له أوبا أونر: جئنى بالصندوق المصنوع من الأبـــنوس والذهـــب، واستطاع بما فى داخله أن يصنع تمساحاً من الشمع طوله سبعة أشبار، وتلا عليه تعويذة وقال: أن من يأتى ليستحم فى بحيرتى اقـــبض عليه وأعطاه مدير البيت وقال له حينما ينزل الرجل إلى بحيرتى علـــى حســـب عادته اليومية ألق التمساح وراءه فى الماء وعلى ذلك ذهب مدير البيت فى سبيله وأخذ تمساح الشمع معه.

وأرسلت زوجة كبير الكهنة كعادتها إلى مدير البيت لإعداد المنزل الـــذى كان مشرفاً على البحيرة قائلة: جهز بيت النزهة الذى على البحيرة انظر. إنى سأسكن فيه فأثث بيت النزهة بكل شئ جميل، ثم ذهبت الزوجة وخادمـــتها ومعهمـــا الـــرجل وقضوا اليوم فى مرح وشراب وعندما حان الغروب ونزل الرجل كعادته إلى البحيرة ليستحم فألقى مدير البيت تمساح الشـــمع وراءه فى الماء فتحول إلى تمساح حقيقى طوله سبع أذرع وقبض عليه (وغاص به فى الماء).

وفـــى ذلك الوقت كان كبير المرتلين "أوبا أونر" مع الملك نب كا ومكـــث معـــه ســـبعة أيام، وفى هذه الأثناء كان الرجل فى الماء من غير تـــنفس. فلمـــا عاد قال كبير المرتلين للملك: هل لجلالتك أن تأتى وتشاهد عجيـــبة حدثـــت فى عهدك؟ فتعجب الملك ونادى أوبا أونر على التمساح وأمره أن يحضر الرجل، فظهر على سطح الماء، وارتاع الملك منه فتقدم كبـــير المرتليـــن وأمسك بالتمساح فأصبح فى يده تمساحاً من الشمع مرة أخـــرى. وبعد ذلك قص رئيس المرتلين أوبا أونر على جلالة الملك نب كا ما حدث بين زوجته وذلك الرجل.

فقـــال الملك للتمساح: خذه فهو ملكك. وعندئذ غاص التمساح فى أعمـــاق البحـــيرة ولم يعرف أحد المكان الذى ذهب إليه مع الرجل وقرر جلالة الملك "نب كا" أن تؤخذ زوجة "أوبا أونر" إلى الحقل الذى فى شمال مقر الملك. وأشعلت النار فيها وألقى برمادها فى النهر.

وبعد أن انتهى خفرع من قصته أمر الملك خوفو أن يقدموا قربانا للملـــك "نب كا" ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة، وثوراً وكيلين

من البخور وأن يقدموا قرباناً لكبير الكهنة المرتلين "أوبا أونر" رغيفاً وإناء من الجعة وقطعة كبيرة من اللحم وكيلاً من البخور.

ومــع مــا تتضمنه هذه القصة من اعتقاد القوم حينئذ فى السحر وقوته، فإنه يمكننا أن نخرج منها ببعض الحقائق التاريخية المتصلة ببعض أحكــام من قانون العقوبات، حيث كان يكتب على الزانية والزانى ــ كما ورد فــى هــذه القصة ــ الموت، غرقاً أو حرقاً مثلما حدث للرجل الذى ابــتلعه التمســاح فى اليم، والمرأة التى أمر بإحراقها فى ساحة تقع شمالى القصــر وذلك حتى تكون رادعاً لغيرها ممن تسول إليهن أنفسهن ارتكاب مــثل هذه الجريمة النكراء وعلى أى حال فهناك ما يشير ــ حسبما يذكر ديــودور الصــقلى ــ إلــى تخفيف هذه العقوبة فيما تلا ذلك من عصور، فأصــبح الــزانى يعاقب بالجلد ألف جلدة، أما الزانية فكانت تعاقب بجدع أنفهــا، حــتى تحــرم من أكبر مقومات جمال المرأة، وحتى تكون عظة وعبرها لغيرها من النساء.

وبعد أن انتهى الأمير خفرع من قص قصته تقدم أخوه باوف رع ووقــف أمام أبيه خوفو، وقال أنه سيقص عليه قصة حدثت فى عهد الملك سنــفرو أول ملوك الأسرة الرابعة وكان بطلها يشغل منصب كبير الكهنة المرتليــن ويدعــى "جاجا ام عنخ" ويطلق بعض علماء المصريات ومنهم الأســتاذ الدكــتور احمد فخرى طيب الله ثراه على هذه القصة اسم قصة سنفرو وفتيات القصر وقد جاء فيها:

أن الملــك ســنفرو شعر فى يوم من الأيام يضيق فى نفسه، فجمع رجال القصر ليجد لنفسه تسلية تشرح صدره، ولكنهم فشلوا فى إيجاد شئ يشــرح صدر جلالته وظل على حالته، فامر بأن يستدعوا له كبير الكهنة

المرتلين "جاجا ام عنخ" فأحضر إليه فى الحال فقال له جلالته: لقد جمعت رجــال القصر جميعاً ليجدوا لى تسلية ولكن لم أجد، وطلب منه الملك أن يقترح عليه شيئاً يزيل ما فى نفسه من ضيق.

وهنا اقترح عليه "جاجا ام عنخ" أنه سيجد بغيته فى الماء والخضرة والوجوه الحسان، فقال له:

إذا ذهبت جلالتك إلى بحيرة البيت العظيم، اركب قارباً كل ما فيه عذارى من أمام قصرك عندئذ قلب جلالتك ينشرح حينما ترى كيف يجدفن جيــئة وذهاباً. وعندما ترى الأماكن اللطيفة التى على البحيرة وتنظر إلى حقولها وشاطئيها الجميلين، فإن قلبك ينشرح بذلك.

فقـــال له جلالته: سأفعل هذا عد إلى منزلك (؟) وسأذهب لأجدف فلــيؤت إلـــى بعشرين مجدافاً من الأبنوس مرصعة بالذهب ومقابضها من خشب مطعمة بخالص الأحجار، ثم أمر جلالته بأن يؤت إليه بعشرين امرأة ممـــن لهم أجمل الأعضاء وصدورهن رشيقة، وشعورهن مجدولة ممن لم يلدن بعد، ثم أمر بأن تغطى كل منهن جسدها بشبكة من شباك الصيد بدلاً من ملابسها.

وقـــد نُفـــذ كل ما أمر به جلالته، ونزل الملك إلى القارب وأخذت الفتـــيات تجدفن جيئة وذهاباً، ولم يمض إلا وقت قصير حتى حدث ما قاله كبـــير المرتليـــن جاجا أم عنخ وبدأ الانشراح يجد طريقه إلى صدر الملك سنفرو وكان قلب جلالته فرحاً حينما رأى كيف يجدفن ويحتمل أن الفتيات كن يجلسن فى صفين لكل منهم قائده تقود التجديف، ويبدو أنهن كن يزين شـــعورهم بحلـــية للشعر على هيئة سمكة وأنهن كن يغنين أثناء التجديف للتسلية والترويح عن الملك.

وحدث بعد ذلك أن تعثرت قائدة منهم فى جدائل شعرها، وسقطت الحلية التى تزين شعرها فى الماء فسكتت عن التجديف والغناء فتوقفت كل الفتيات الموجودات فى صفها عن التجديف والغناء عندئذ قال جلالته: لماذا لا تجدفن؟ فقلن "أن قائدتنا صامتة ولا تجدف". وتساءل سنفرو عن السبب، فلمـا علـم به قال لتلك الفتاة أن تستمر وسيعطيها بدلاً منها، ولكنها ردت قائلـة بأنهـا تفضـل حليـتها على أى بديل عنها. عندئذ أمر جلالته بأن يحضروا إليه رئيس المرتلين "جاجا أم عنخ" على الفور فتم إحضاره فوراً فقـال له الملك: "يا جاجا ام عنخ" يا أخى، لقد فعلت كما قلت وقد سر قلب جلالـتى حينما نظرت كيف يجدفن، ولكن حلية من الملاخيت الجديد على هيئة سمك قد سقطت من قائدة الفتيات فى الماء فسكتت ولم تجدف، وبذلك امتـنع صـفها عن التجديف، وقد قلت لها: لماذا لا تجدفين، فقالت لى: أن سمكة حلى من الملاخيت الجديد قد سقطت فى الماء. فقلت لها: جدفى وأنا أعطـيك بـدلاً منها. فقالت لى: "أنى أريد قعبى حتى قاعه" (أى أنى أريد حقـى كاملاً، بمعنى أنها تفصل سمكتها عما سواها). وعندئذ تلا جاجا ام عـنخ رئـيس المرتلين عزيمة سحرية، جعلت ما أحد جانبى البحيرة على الجانـب الآخر، أى أنه طوى الماء فى البحيرة كما تطوى الملابس، فجعل نصـف مـاء البحيرة يعلو فوق النصف الآخر فأصبح ارتفاع ماء البحيرة أربعة وعشرين ذراعاً فى أحد الجانبين بعد أن كان اثنى عشر فقط. وحينئذ رأوا فـى قـاع البحـيرة تلك الحلية وقد استقرت فوق قطعة مكسورة من الفخـار فأشـار إليها، فارتفعت وسلمها إلى صاحبتها. وقضى جلالته كل الـيوم فى سرور مع كل القصر، وكافأ رئيس المرتلين "جاجا ام عنخ" بكل الأشياء الطيبة.

وقــد قال الأمير باوف رع لأبية خوفو: انظر أنها أعجوبة حدثت فــى عصــر والدك سنفرو، وهى من أعمال رئيس المرتلين ناسخ الكتاب "جاجا ام عنخ".

فقــال جلالــة الملــك خوفو: "فليقدم إلى جلالة الملك سنفرو مائة رغــيف مــن الخبز ومائة إناء من الجعة وثور وكيلان من البخور لأنى رأيت مثلاً من علمه". وقد نفذ كل ما أمر به جلالته.

وســواء كانت هذه القصة صحيحة أو أسطورية فقد أظهرت الملك ســنفرو ملكــاً ألــيفاً يحسن المجالسة، عذب الحديث، يحب مداعبة محدثه ومحــدث لــبق. وترمز هذه القصة إلى حياة الرفاهية التى عاشها سنفرو. ومــن ناحــية أخرى توضح أن قصاصها لم يتخيل ملكه ربا مطلقاً قادراً مقتدراً، كما تعودت النصوص الرسمية أن تصف ملوكها ولم يجد بأساً فى أن يصــوره عاجزاً عن فعل بعض ما يستطيع كاهن من رعيته أن يفعله. وأن هــذا الملــك وأن خاطبه رعاياه بلقب الربوبية إلا أنه لم يكن يعتقد فى نفســه الربوبية الفعلية، ولم يكن من المستبعد عليه فى هذه الحالة تبعاً لذلك أن يخاطب أهل العلم فى عصره بلفظ الأخوة كما خاطب كاهنة المرتل.

وبعــد أن انتهى الأمير "باوف رع" من سرد قصته، وقف الأمير "حور ددف" أمام الملك خوفو وقال له:

إنــك لــم تســمع إلى الآن غير أمثلة لسحرة سبقونا، ولا يعرف الإنسان إذا كان ذلك صحيحاً أم غير صحيح، غير أنه فى زمنك هذا يوجد ســاحر وحينــئذ سأل جلالته عن هذا الساحر فأجاب حور ددف قائلاً: أنه مواطــن يدعى "ددى" ويعيش فى بلدة تسمى "ددسنفرو" (مدينة بالقرب من مــيدوم الحالية شمال مدخل الفيوم) بلغ من العمر مائة وعشرة أعوام وأن

هــذا الساحر العجوز يأكل يومياً خمسمائة رغيفاً من الخبز، وفخذ ثور من صــنف اللحم ويشرب مائة إبريق من الجعة إلى يومنا هذا (يقصد من ذلك أنه لا يزال يتمتع بصحة جيدة رغم سنوات عمره المديدة).

ثم ذكر الأمير الحيل السحرية التى يستطيع الساحر "ددى" القيام بها فقال:

"أنه يعرف كيف يعيد رأساً مقطوعاً إلى مكانه، ويعرف كيف يجعل الأســد يسير خلفه ومقوده يجر على الأرض، كما يعرف سر مفاتيح هيكل الإله تحوت".

وكان الملك خوفو يريد دائماً معرفة سر مفاتيح هيكل الإله تحوت لــيعمل شــيئاً يماثل هذا الهيكل فى هرمه، فطلب من ابنه أن يسافر بنفسه ليحضــر له ذلك الساحر، قائلاً له "ائت بنفسك يا بنى حور ددف ستحضره لى".

وأعدت سفن للأمير "حور ددف" وسافر إلى "دد- سنفرو" وعندما رست السفن على الشاطئ أمام القرية التى يعيش فيها الساحر. نزل الأمير من سفينته وحمله أتباعه فى محفه من الأبنوس قوائمها مصنوعة من خشب الأرز ومطعمة بالذهب.

ولمــا وصل إلى (ددى) وضعت المحفة على الأرض ووقف يسلم علــيه فوجــده جالساً على حصيرة على عتبة بيته، وقد أمسك أحد خدمه برأســه يربــت عليها وكان هناك خادم آخر يدلك قدميه فنهض لاستقبال الأمير الذى حياه أحسن تحية وهناه على تمتعه بصحته قائلاً له: أن حالتك الآن كحالتك قبل التقدم فى السن، وقبل الكبر وهو بيت الداء، ومكان الكفن،

ومحـــل الدفـــن (وأنـــت لا تزال رجلاً) بناء إلى مطلع النهار معافى من المـــرض، وبدون أن تتقدم فى السن المشينة. ثم ذكر له أنه موفد إليه من قبل والده الملك خوفو ليدعوه إليه ليتمتع بأطيب المأكل التى يتمتع بها من حوله، وحتى يوصله بعد عمر مديد إلى آبائه الذين فى عالم الأموات.

فـــرد علـــيه "ددى" قائلاً: "فى سلام فى سلام يا حور ددف أنت يا ابـــنى الملـــك الذى يعزه والده ليت والدك يكافئك، وليته يرفع مكانتك بين الكبار مرحباً بك يا ابنى الملك.

وســـاعد حـــور ددف الســـاحر "ددى" على القيام وذهب معه إلى الشـــاطئ حيـــث كانت السفن راسية هناك، وطلب "ددى" أن يخصصوا له سفينة لأجل عائلته وكتبه فخصص له الأمير سفينتين. أما "ددى" فإنه أبحر فى النهر فى سفينة الأمير حور ددف.

ولما وصل الأمير حور ددف إلى مقر الملك دخل ليقدم تقريره إلى الملـــك خوفـــو وأخـــبره بأنه قد أحضر ددى فطلب منه الملك بأن يذهب ويحضـــره إلـــيه ثم ذهب الملك إلى القاعة ذات العمد فى القصر، وعندما حضـــر ددى إلـــيه، بادره الملك "قائلاً" ما هو السبب فى أنى لم أرك قبل الآن؟ فأجـــاب ددى بقوله: يأتي الإنسان عندما يدعى وأن الملك قد طلبنى وها أنا قد أتيت.

وعـــند ذلك طلب الملك من الساحر ددى أن يريه بعضاً من حيله السحرية التى أخبره عنها الأمير حور ددف فقال جلالته: أصحيح ما يقال مـــن أنك يمكنك أن تعيد رأساً مقطوعة إلى مكانه؟ فقال ددى: نعم أعرف ذلك يا أيها الملك يا مولاى. فقال جلالته: احضروا سجيناً من السجن حتى

يوقــع علــيه عقابــه ولكن ددى طلب ألا تكون التجربة على إنسان، بل الأفضل أن تكون على أحد الحيوانات.

فأحضروا إليه أوزة، وقطعوا رأسها فى الجانب الشرقى منها. وتلا ددى عويــذة سحرية فوقفت الأوزة ومشت وكذلك فعل رأسها. ولما وصل احد الجزأين إلى الآخر وقفت الأوزة وصاحت وأعادوا التجربة مرة ثانية فــى بطــة فعمل فيها بالمثل وأحضروا له ثوراً وفصلوا رأسه عن جسده فتمكن من إعادته للحياة مرة ثانية مثلما فعل فى المرات السابقة.

وعندئذ قال الملك "خوفو" للساحر ددى: يقال إنك تعرف عدد إقفال معــبد تحوت. فرد عليه ددى قائلاً: معذرة فإنى لا أعرف عددها يا جلالة الملك يا مولاى، ولكن أعرف أين هى. فقال جلالته: أين هى؟ فأخبره ددى أنهــا فــى صندوق من الظران فى إحدى قاعات معبد هليوبوليس وأنه لا يســتطيع إحضــارها بل الذى يستطيع أن يحضرها هو أكبر أطفال ثلاثة تحمــل بهــن "رد-ددت" وتساءل خوفو عن هذه المرأة، فاخبره ددى أنها زوجة كاهن رع فى بلدة تسمى "سخبو" (وهى إحدى البلاد الصغيرة القريبة مــن موقــع العاصمة بين منف وهليوبوليس) وقد حملت بثلاثة أطفال من الإلــه رع، سيد مدينة "سخبو" وقد بشرها الإله رع بأن أبناءها سيحكمون البلاد، وأن أكبرهم سيكون كبيراً لكهنة رع فى هليوبوليس.

وعندئذ استولى الحزن على قلب الملك خوفو من أجل ذلك، فبادر ددى وسأل الملك عن سبب حزنه وهل هو من أجل أولئك الأطفال الثلاثة وعند ذلك طمأنه قائلاً له: ابنك سيحكم فابن ابنك وبعد ذلك واحد منهم. أى أنه ابنه سيحكم ثم يحكم ابنه بعده ثم يأتى واحد من هؤلاء الأطفال الثلاثة.

ومـــن الواضـــح أن هـــذا الجانب من القصة يمثل بوضوح دعاية سياســـية لملوك الأسرة الخامسة وعلى ذلك فيمكن اعتبار ــ حسبما يذكر أســـتاذنا الدكتور أحمد فخرى ــ هذه القصة أنها تمثل الناحية الشعبية من قصة استيلاء كهنة الشمس على العرش فى نهاية الأسرة الرابعة وتأسيسهم للأســـرة الخامسة. ومن الواضح حسب الأدلة النصية والأثرية أن ما ورد فى هذه البردية عن أن ابن خوفو سيتولى العرش ثم يليه ابنه ثم أحد هؤلاء الأطفـــال، لا يطابق الحقيقة، إذا استمر الملك فى نسل خوفو اكثر من ذلك بكثير كما نعرف كذلك أن تأسيس الأسرة الخامسة قد اقترن بعوامل كثيرة لا تطابق ما فى البردية مطابقة تامة وأن اتفقت معها بوجه عام فى انتقال العرش إلى بيت آخر كان من كهنة الشمس فى مدينة أون (هليوبوليس).

وتســـتمر القصة بعد ذلك فتحدثنا عن رغبة الملك خوفو فى زيارة معـــبد الإله رع فى مدينة "سخبو" وكيف أن الساحر ددى قد تمكن بسحره مـــن تســـهيل هـــذه الزيارة، إذ كانت مياه القناة الموصلة إلى ذلك المكان، وتســـمى قناة السمكتين غير كافية العمق، فتمكن الساحر من جعل مياهها أربعة أذرع.

وبعد ذلك عاد جلالته إلى قصره، وأمر بأن ينزل الساحر ددى فى ضـــيافة الأمـــير حور ددف ثم أمر بأن يصرف له يومياً ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة وثوراً واحداً ومائة حزمة من الكرات. وقد نفذ ذل على حسب ما أمر به جلالته.

وتنـــتقل القصة بعد ذلك إلى ذكر قصة ولادة "رد-ددت" بالتفصيل فتقول والآن اتفق أن "رد ددت" شعرت بألم المخاض، فقال جلالة رع رب سخبو للإلهات إيزة (التى اعتبرت زوجة أوزير وأم حور، وأصبحت رمزاً

للزوجة الوفية والأم الحنون كما اشتهرت كذلك بالعظيمة فى أعمال السحر، هـذا ويعنى اسمها كرسى العرش) ونفتيس (التى اعتبرت أنها زوجة الإله ست) سخمت إلهة الولادة وإحدى إلهات الحظ والقدر، كما كانت واحدة من إلهـات حجرة الولادة الأربعة، وكانت تمثل مع غيرها من الإلهات الولادة لحظة خروج الجنين إلى الحياة، وذلك فى هيئة فتيات راقصات على أنغام الموسيقى، كما ارتبطت، كغيرها من إلهات الولادة بإعادة الولادة أو الحياة بعد الموت، وحقت (كانت آلهة الماء، واعتبرت إلهة أزلية عاشت فى منف قـبل الخلـق وظهـرت على هيئة ضفدعة حسب مذهب الأشمونين، كما أشرفت على مولد الملوك والملكات وكانت تدعى عادة زوجة خنوم، ومن ثـم فقـد أصـبحت تساعد الأمهات فى الولادة وكثيراً ما تراها فى نقوش المعـابد فـى مـناظر خروج الأطفال إلى الحياة). وخنوم كان إلهاً قديماً لمـنطقة الجندل الأول وكان إلهاً خالقاً اشتهر اسمه من فعل "خنم" (بمعنى يخلـق وهـو فـى نظـر المصرى خالق الآلهة والبشر الذين شكلهم من الصلصال على عجلة الفخار)، هيا اذهبوا وخلصوا "رد-ددت" من الأطفال الـثلاثة الذين فى رحمها وهم الذين سيقلدون هذه الوظيفة الممتازة فى هذه الأرض قاطـبة، أنهم سيبنون معابدكم ويمدون مذابحكم بالمأكل ويجعلون موائدكم عامرة ويكثرون من قرابينكم.

وعندئذ ذهبت هؤلاء الإلهات وقد تزين بزى الراقصات وكان خنوم معهن يحمل محفتهن، وآتين إلى بيت "رع وسر" (زوج رد-ددت) فوجدوه واقفـاً وقـد تهدلت ملابسه (نتيجة لاضطرابه) فأخذوا يغنون ويرقصون أمامه. فقال لهن أنه توجد هنا سيدة تعانى آلام الوضع فأجابوه "دعن نرها، حقـاً أنا نعرف فى الولادة" فقال لهن: احضرن وعندئذ سبقن "رد- ددت" وأغلقـن بـاب الحجرة عليهن وعليها وجلست "إيزيس" أمامها و "نفتيس"

خلفها وأسرعت "حقت" فى عملية الوضع. وقالت إيزيس تخاطب الجنين لا تكون شديداً فى رحمها كاسمك "وسر-كاف" فانزلق هذا الطفل إلى الخارج على يديها وطوله ذراع. قوى العظم، وكان لقبه الملكى مكتوباً على جسمه بالذهب ولباس رأسه من خالص اللازورد. فغسلته وقطعن حبل سرته ووضعنه على رقعة من نسيج فوق قالب من اللبن، واقتربت منه "سخمت" وقالت: "ملك سيتولى الملك فى البلاد قاطبة" ومنحه خنوم الصحة فى جسمه. وتكررت ولادة الثانى بنفس الطريقة وسموه "ساحورع" والثالث كذلك سموه "كاكاى" وقد ولدا أيضاً كأولهم بجميع شارات الملك.

يلاحظ من ذلك أن مؤلف هذه القصة قد أراد الإشارة إلى أسماء الملوك الثلاثة الأول فى الأسرة الخامسة وهم "وسر كاف" و "ساحورع" و "كاكاى".

وبعد أن انتهى الآلهة الأربعة من مهمتهم خرجن بعد أن خلصن "رد-ددت" من الأطفال الثلاثة ثم قلن: ليكن قلبك فرحاً يا "رع- وسر" انظر لقد ولد لك ثلاثة أطفال "فقال لهن: يا سيداتى ماذا يمكننى أن أفعل لكن؟ أرجو منكن أن تعطين هذا الكيل من الشعير لحامل محفتكن، وخذنه لأنفسكن معكن فى أوانيكن أجراً "فحمل" "خنوم" الشعير.

ولما ذهبن فى طريقهن من حيث أتين قالت "إيزة" لهؤلاء الإلهات: ما معنى أننا أتينا إلى هنا ولم نأت بأية أعجوبة لهؤلاء الأطفال حتى نجد بها والدهم الذى أرسلنا إلى هنا؟ (الإله رع). وعلى ذلك صنعن ثلاثة تيجان ملكية ووضعنها فى الشعير وجعلن العاصفة والمطر تتجمع فى السماء ومطراً ينهمر، فعادوا إلى منزل الكاهن متذرعين برداءة الجو، وسألوه أن يضع الشعير فى حجرة مغلقة ليأخذونه فى فرصة أخرى.

وتذكر القصة بعد ذلك أن "رد- ددت" قد طهرت نفسها بعد الأربعة عشـــر يوماً (وعلى ذلك فإن المرأة كانت تعتبر نجسة لمدة من الوقت بعد الـــولادة) وأرادت أن تعد وليمة فسألت خادمتها إذا كان كل شئ معداً لذلك فقالـــت لهـــا أنه ينقصنا الشعير ولا يوجد منه إلا ذلك الشعير الذى يخص المغنـــيات فـــى الغـــرفة المختومة بختمهن فأمرتها سيدتها أن تفتح الغرفة وتأخذ الشعير وسيعطيهم زوجها "رع- وسر" بديلاً عنه عند عودته.

فلما نزلت الخادمة وفتحت الغرفة سمعت أغانى وموسيقى ورقصاً وســـرور وكـــل ما يفعله الناس لتكريم الملك. فعادت وأخبرت سيدتها بما سمعت فنزلت "رد-ددت" وطافت بالحجرة ولكنها لم تعثر على المكان الذى كانت تأتى منه الموسيقى والأغانى، حتى ألصقت رأسها بصومعة الغلال. فـــأخذت الشـــعير ووضعته فى صندوق وأغلقته وربطته ثم وضعته داخل صـــندوق آخر فى مكان أغلقته. وعندما عاد زوجها من حقله أخبرته بما حدث وفرح كلاهما بذلك.

ومضـــت أيـــام قلـــيلة ثم حدث بعدها أن غضبت "رد-ددت" من خادمـــتها وعاقبتها بضربها، فقالت الخادمة لمن فى المنزل أنها تعرف أن ســـيدتها ولدت ثلاثة ملوك وستذهب لتخبر الملك خوفو وغادرت الخادمة مـــنزل ســـيدتها قاصدة قصر الملك، فمرت فى طريقها بمنزل أمها، فرأت أخاها هناك فسألها قائلاً: إلى أين أنت ذاهبة أيتها الفتاة الصغيرة؟ فأخبرته بالأمـــر، فقـــال لهـــا أخوها: وها أنت قد جئت إلىّ لاشترك معك فى هذه المؤامرة ثم اخذ عصا من أعواد نبات الكتان وأوجعها ضرباً، وذهبت الفتاة بعد ذلك لتملأ جرة ماء من النهر فانقض عليها تمساح واختطفها.

وذهـــب أخوها إلى السيدة "رد-ددت" فوجدها جالسة وقد وضعت رأســـها فـــوق ركبتها وامتلأت نفسها بالحزن فقال لها: لماذا أنت مشغولة القلــب؟ فأجابته: بسبب تلك الفتاة التى شبت فى المنزل، انظر. لقد وصل بهـــا الأمر أن ذهبت قائلة سأذهب لأفشى ذلك. فأطرق برأسه وأخبرها بما حـــدث مـــن أخـــته وعـــند هذه الجملة الأخيرة ينتهى الجزء المحفوظ من البردية. فلا نعرف ماذا حدث بعد ذلك، وإن كنا نفهم من سياق القصة أنها كادت تقارب نهايتها.

٢- قصة الفلاح الفصيح

تـــرجع هذه القصة إلى عهد الملك **"تب كاو رع"** أحد ملوك الأسرة العاشـــرة، ولكـــنها كتبت بعد ذلك بقليل، وقد لاقت إقبالاً كبيراً فى عصر الدولة الوسطى، إذ عثر على أربع نسخ لها بجانب مقتطفات أخرى، وأهم هـــذه النســـخ يوجد حالياً فى متحف برلين. وقد وضعت القصة كتمهيد لما جـــاء بعدهـــا من تسع مقالات أدبية اهتم الكاتب بانتقاء معانيها وتعبيراتها وألفاظها بدقة.

كتبـــت هـــذه القصـــة فـــى عصر الانتقال الأول، أى بعد الثورة الاجتماعـــية الأولى التى غيرت كثيراً من الأوضاع وأعلت من قيمة الفرد وشجعت على المطالبة بالحق ومحو الظلم والقضاء على الظالمين، وأن كل إنســـان مهما علا قدره سيحاسب على ما فعله، وأن الحاكم ليس إلا راعياً مســـئولاً عن شعبه وهو مكلف بالسهر على راحته فإذا أهمل ذلك يحاسبه الله.

تدور القصة حول فلاح يدعى **"خنوم أنوب"** وهو أحد سكان وادى النطرون، وكان يسافر من حين لآخر إلى العاصمة ليبيع منتجات هذه المنطقة محملاً على حمير له، وفى إحدى المرات اعترض طريقة أحد الموظفين ويدعى **"تحوتى نخت"** واغتصب منه حميره وما عليها من متاع بحيلة دنيئة، فذهب الفلاح بعد أن يأس من استرداد حميره إلى عاصمة المقاطعة ليشكو أمره إلى رئيس تحوتى وكان يدعى **"رنسى بن مرو"**، فجمع رئيس مجلس الأشراف ليفصل فى هذه القضية، ولكن لم يعرف الأعضاء الحكم مباشرة لأسباب لم تُذكر فى القصة، وحكى الفلاح شكواه لرنسى فى أسلوب فصيح بهره وأعجب به، فرأى أن الأمر جدير بأن يعرض ذلك على الملك نظراً لذلك الأسلوب الجميل وتلك البلاغة النادرة، وبعد أن عرض الأمر على الملك أعجب به واستحسنه وأمر جلالته ألا يبت فى أمر هذا الفلاح حتى يكرر الشكوى فيكون ذلك مصدر خطب بليغة أخرى وهذا ما كان، إذ ألف الفلاح تسع شكاوى رائعة، وعند نهاية القصة أخذ العدل مجراه ورد للفلاح ما سرق منه، بل وأعطى كذلك كل ما كان يمتلكه تحوتى نخت تعويضاً عما أصابه وعوقُب تحوتى نخت عما فعله.

وعلى أية حال فإن قصة الفلاح الفصيح تتكون من مقدمة وتسع شكاوى، عنى الكاتب بانتقاء معانيها وتعبيراتها وألفاظها كل العناية وفيها كثير من التهكم الرائع. كذلك كانت الصورة التى عرض بها الفلاح صورة صادقة للأوضاع الاجتماعية التى ظهرت فى تلك الفترة من ازدياد الفوضى التى سادت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كما أن فى تكرار موضوع الشكوى تسع مرات يدل على الروح التى سادت هذا العصر وعلى الحرص على العدالة وإعطاء كل ذى حق

حقه وحماية الفقير من سطوة الأغنياء وأصحاب النفوذ، لذلك تعد قصة الفلاح الفصيح وثيقة تاريخية تصور لنا الحالة الاجتماعية فى تلك الفترة وتصور لنا أن الوظيفة الكبيرة ليست فى كل الأحوال سياجاً تحمل صاحبها من أن يظلم الناس، كما أنها ليست دائماً درعاً يحمى الفقراء من اضطهاد الحاكمين وتصور القصة كيف ساء الحال وأهمل الموظفون واجباتهم وكيف اضطرب الأمن فى الطرق وانتشرت السرقات وتفشى الغش والخداع وكيف فسد الحكم حتى وصل الأمر إلى القضاء وتصور القصة كذلك كيف أن الملك أُعجب بفصاحة الفلاح وتمنى أن يستزيد منها ثم يأمر بالإحسان إليه فى عاصمته دون أن يعرف من هو المحسن إليه.

كذلك أظهرت قصة الفلاح الفصيح أن الثورة الاجتماعية الأولى أثرت فى المجتمع بأن أعلت من شأن الفرد وأعطت الفرصة لأقل الناس أن يتقدم بكل جرأة وشجاعة ويطالب بحقه المسلوب.

وقد بقيت قصة الفلاح الفصيح معروفة عند المصريين القدماء حتى عصر الرعامسة (الأسرتان التاسعة عشرة والعشرين)، وهذا يدل على شهرة هذه القصة حتى هذا العصر.

٣- قصة سنوهى

كتبت هذه القصة فى أوائل عصر الأسرة الثانية عشرة (الدولة الوسطى)، وظلت تقرأ وتدرس فى المدارس المصرية القديمة نحو خمسمائة عام حتى أواخر عصر الدولة العشرين وذلك لأنها كانت من أحب القصص إلى قلوب المصريين.

وقد وصل إلينا كثير من أجزاء هذه القصة مكتوباً على البردى أو علـــى قطع الأوستراكا مما يدل على إقبال الناس عليها وبخاصة المدرسين الذيـــن كـــانوا يُملونها على تلاميذهم. وقد توافرت لقصة سنوهى عناصر القصة المتكاملة من حيث الأسلوب والتركيب واللغة.

والـــنص الكـــامل لقصـــة سنوهى محفوظ فى برديتين فى متحف برليـــن، وقبل أن نسرد بإيجاز القصة نتعرف على صاحبها سنوهى الذى كـــان شخصـــية حقيقية عاش فى عهد الملكين أمنمحات الأول وسنوسرت الأول (الأسرة الثانية عشرة)، ويقص علينا سنوهى ما حدث له منذ أن كان مع ولى العهد سنوسرت فى غزوة ضد الليبيين، وحدث فى تلك الأثناء أن اغتـــيل الملـــك أمنمحات الأول فى قصره، وعندما وصل الخبر إلى ولى العهـــد سنوســـرت فى معسكره عاد مسرعاً إلى العاصمة، وسمع سنوهى بالخبر خلسة، فترك الجيش وفر هارباً إلى سورية ولم يقدم سنوهى تبريراً لهـــروبه هـــذا فى وقت كان من المفروض فيه أن يكون بجوار ولى العهد سنوســـرت، وعلى هذا فيرى البعض أن سنوهى كان متورطاً فى مؤامرة اغتـــيال الملـــك أمنمحات الأول فى قصره ولذلك قام بالهرب إلى سورية بمجـــرد سماع نبأ الاغتيال خوفاً من اكتشاف أمره وخوفاً من عقاب الملك الجديد سنوسرت الأول الذى خلف أباه فى الحكم.

ثـــم يقـــص ســـنوهى عليـــنا كيفية تنقله من أرض إلى أخرى فى الصـــحراء الشـــرقية وعبر سيناء حتى وصل إلى فلسطين وكيف أن أحد رؤســـاء القـــبائل هناك أكرم وفادته وأحسن استقباله مما يدل على معرفة رؤســـاء القـــبائل فى آسيا بحكام ورجال القصر الملكى فى مصر، ثم قام رئـــيس القبيلة هذا بتعيين سنوهى فى كثير من المناصب الهامة وهذا يدل

علـــى ثقـــته بسنوهى والرغبة فى الاستفادة من خبرته الإدارية الكبيرة فى القصر الملكى أثناء عمله مع الملك أمنمحات الأول ثم مصاحبته لولى العهد سنوسرت فى حملته على الليبيين.

وزيادة على ذلك قام رئيس القبيلة بتزويج سنوهى من ابنته ليضمن بقاءه معه، وعندئذ انتشرت شهرة سنوهى بين القبائل وأحبه الناسي لحكمته وذكائه، ثم يقص سنوهى علينا بعض المتاعب التى واجهته من جراء هذه الشهرة وتمثلت تلك المتاعب فى تحدى أحد شباب القبيلة الأقوياء له ويقص علينا كيف أنه رفض فى البداية هذا التحدى ثم عاد وقبل ذلك وقام بوصف حلبة النزاع بينهما وما حدث فيها حتى تمكن فى النهاية من الانتصار على هذا الشاب المتحدى وقتله.

ثـــم يقص سنوهى بعد ذلك أنه بعد فترة طويلة من العيش فى هذه القبائل وبعد إنجابه العديد من الأبناء الذين كبروا وتولوا المناصب الكبيرة عاوده الحنين إلى العودة إلى بلاده حتى يدفن فى ترابها المقدس فأرسل إلى الملك سنوسرت الأول يطلب عفوه والسماح له بأن يرجع ويقضى ما بقى له من أيام فى خدمته، وحتى يدفن فى الأرض التى تربى ونشأ فيها.

ويقـــص ســـنوهى علينا بعد ذلك أن الملك سنوسرت الأول بعد أن علم بحالته عفى عنه وأرسل إليه بذلك ودعاه إلى الحضور إلى مصر.

وتأتى نهاية القصة بأن يقص سنوهى بأسلوب مؤثر فرحته الغامرة بقرار العفو عنه وعودته إلى مصر ولقائه بالملك وكيف أغدق عليه الملك بالهدايا وجعل له قصراً يعيش فيه بقية حياته وأمر بتشييد قبر عظيم له.

وتأتى أهمية قصة سنوهى من الناحية الأدبية أنها من حيث الشكل قصـــة واقعية لتجربة شخصية حدثت فى زمان ومكان محددين، ولها بداية ونهايـــة، هـــذا بجانب أنها تضمنت معلومات بسيطة عن فلسطين وسورية وأهلها وطبائعهم، كما تضمنت من شعر المدح والأمثال الجارية ومن صيغ الرســـائل وحســـن الاستعطاف، ورقة الاعتذار، وهذه العناصر كلها كان المعلمون والمتعلمون يحبون الاستشهاد به.

ومـــن الناحـــية الفنية قد أبدعت قصة سنوهى فى تصوير مشاعر الإيمان ومشاعر الخوف ومشاعر الفخر بالنصر وأظهرت مشاعر الوطنية والحنين إلى الوطن وصورت اللقاء فى أرقى صوره.

كذلـــك توجد أهمية تاريخية لقصة سنوهى حيث تقدم لنا فكرة عن اعـــتقاد المصريين القدماء عن سكان الصحراء الشرقية واعتراف سنوهى لهم بالكرم والمروءة والنجدة وهذا من سمات العرب جميعاً فى وقت الشدة قبل الرخاء.

٤ - قصة الأخوين

ننـــتقل الآن إلـــى قصـــة أخـــرى من أدب القصة ألا وهى "قصة الأخويـــن" الـــتى تتمـــتع بأهمية خاصة تمثلت فى وجود مزيج داخلها من قصص مختلفة بعضها حقيقى والبعض خيالى، يعتمد على السحر بالدرجة الأولـــى، ويعتقد بعض العلماء أن الأخوين واسمهما "**أنوبيس**" و "**باتا**" كانا إلهين من الآلهة المصرية.

وتشبه قصة الأخوين كثيراً من القصص العامة فى كل عصر نظراً لأنهـــا تظهـــر المرأة الخائنة التى تحاول الإيقاع بشاب طاهر عنيف، فإذا

رفض اتهمته زوراً وحاولت القضاء عليه انتقاماً منه، هذا فى جزء القصة الأول، وفى جزئها الثانى تظهر القصة أيضاً الزوجة التى تحاول التخلص مـن زوجهـا بشـتى الطرق، ثم تنتهى القصة فى كل جزء منها بالعقاب الإلهى لكل من المرأة الخائنة والزوجة جزاءاً لما قدمتاه.

تـرجع القصة إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة (الدولة الحديثة). وتدور أحداث هذه القصة حول أخوين مخلصين يعيشان معاً فى بيت واحد، الأخ الأكـبر يدعـى "أنوبيس" ومتزوج، والأخ الأصغر يدعى "باتا" غير متزوج وكان يساعد أخاه الأكبر فى عمل الحقل وتربية الماشية، ويقوم بكل عمل شاق، لأنه كان يحب أخاه ويحترمه لأنه رباه ورعاه.

وفى يوم كانا يعملان فى الحقل (فى موسم الزراعة) فاحتاجا بعض البذور بعد أن نفذت البذور التى كانت معهما، فأرسل أنوبيس أخاه الأصغر باتا إلى البيت لإحضار المزيد من البذور، وما أن بلغ باتا البيت حتى وجد زوجـة أخيه مشغولة بتمشيط شعرها، وطلب منها إحضار البذور فأجابته بـأن يذهـب إلى الصومعة ويفتحها ويأخذ ما يريد لأنها لا تزيد أن تفسد تمشـيط شعرها، فذهب باتا وعاد محملاً بقدر كبير من البذور، وهنا راقها قوته وجماله فهبت واقفة وقال: دعنا نمرح ساعة ونضطجع معاً فذلك خير لك، وفوجئ الفتى باتا بما تقول زوجة أخيه فغضب وذهب إلى الباب وقال لهـا: ماذا تقولين أنت لى بمثابة الأم وزوجك فى منزلة الأب فهو الأكبر منى وهو الذى ربانى، إياك أن تفاتحينى فى ذلك وأنا أعدك ألا أتحدث به لأحـد. وحمل باتا حمولته من البذور وانصرف إلى الحقل وأخذ يعمل مع أخيه الأكبر فى صمت.

ونعـــود للزوجة، فعندما رفض باتا طلبها أضمرت فى نفسها أمراً، وفى المساء قابلت زوجها متمارضة تبكى وادعت أن أخاه باتا راودها عن نفســـها، وحرضـــته عليه ليقتله، فصمم أنوبيس على قتل أخيه عندما يعود بالماشـــية، لذلك اختبأ وراء الباب حتى اقترب باتا من الباب ودخلت أولى بقـــراته فأخـــبرته بـــأن أخاه ينتظره وراء الباب ليقتله وكذلك قالت البقرة الثانـــية، عـــندئذ أدرك باتـــا ذلك ففر وتبعه أخوه بسلاحه ليقتله ولكن إله الشـــمس حجز بينهما بخلق بحيرة مملوءة بالتماسيح، ووقف الاثنان أمام بعضـــهما وحكـــى باتا لأخيه كل شئ عما حدث، وأخبره بجريمة زوجته وأراد أن يثبـــت له براءته من ذلك فجب عضو التناسل منه، وقال له بأنه ذاهـــب إلـــى وادى الأرز (لبنان)، وأنه سيضع قلبه على زهرة فى أعلى إحـــدى أشجاره، وعين له علامة إذا حدثت كانت دليلاً على وفاته، وعلى الأخ الأكـــبر حينئذ أن يذهب إلى وادى الأرز ويبحث عن قلبه ويضعه فى الماء فيعود له الحياة. ويعود أنوبيس إلى منزله ويقتل زوجته الخائنة التى تسببت فى فقده لأخيه الوحيد.

ويـــتجه باتـــا إلـــى وادى الأرز ويعيش هناك وحيداً، ولكن الآلهة تـــأخذهم الشـــفقة به ويخلقون له زوجة يأنس إليها، وفى أحد الأيام وهى تســـتحم فـــى البحر، تحمل مياه البحر خصلة من شعرها تصل إلى مصر فتنتشـــير رائحتها العطرة ملك مصر، فيبعث فى طلب صاحبتها فيجدونها فى وادى الأرز ويعـــودون بهـــا إليه فتصبح محظية للملك، ثم تغريه بعد ذلك ليرسل من يذهب لوادى الأرز ليقطع الشجرة التى استقر فوقها قلب زوجها باتا حتى تتخلص منه، وبعد ذلك سقط قلب باتا وتوقف عن الحياة، وعرف الأخ الأكـــبر أنوبـــيس ذلك من العلامة التى حددها له أخوه وهى أن قدح

الجعة التى أخذ أنوبيس يشربه فار فى يده، فذهب أنوبيس إلى وادى الأرز وبحث عن قلب أخيه حتى وجده فأعاده إلى الحياة.

ويـــتحول باتـــا إلى ثور ويحمل أخاه على ظهره ويعود إلى مصر ويظهـــر نفسه لزوجته الخائنة، ولكن الزوجة تغرى الملك مرة أخرى بذبح هـــذا الـــثور، ولكن شجرتين تنبتان من نقطتين من الدم تطايرتا عند ذبح الثور.

ويعيش باتا فى هاتين الشجرتين، ومرة ثالثة تغرى الزوجة الخائنة الملـــك بقطـــع الشـــجرتين لصنع بعض الأثاث، وفى أثناء قطع الشجرتين تـــتطاير قطعـــة صغيرة من الخشب فتستقر فى فم الزوجة الخائنة فتحمل ويولد لها ولد يصبح ولياً للعهد،وعندما يموت الملك يتولى الأمير (وهو باتا نفســـه) حكـــم البلاد، فيحكم على المرأة الخائنة بما تستحقه ويستدعى أخاه الأكـــبر فيعينه ولياً للعهد، ويحكم باتا ثلاثين عاماً، ثم يموت فيجلس أخوه أنوبيس مكانه.

وتمـــيزت قصة الأخوين بأنها مليئة بألوان السحر وهى تعالج أمر الـــزوجة الخائنة مرتين وتنتهى فى الحالتين بأن يقتل الزوج زوجته، وقد أظهر القصاص المصرى القديم الزوجة الخائنة بمهارة حيث أظهر مشاهد تشـــعر بالقوة والألم والغضب والاحتقار، وكذلك أدخل فى القصة عنصر الخـــيال من خلال كلام الحيوانات والآلهة التى تتدخل لتنقذ المظلوم (باتا)، كذلـــك تمـــيزت حـــوادث الجزء الثانى من القصة بالسحر فى سلسلة من المعجزات ابتداءً من نزع باتا لقلبه ووضعه على زهرة فى وادى الأرز، ثم تخلـــق له الآلهة زوجة جميلة تعوضه عما مر به ولكنها تلعب نفس الدور الـــذى لعبته زوجة الأخ الأكبر أنوبيس فتحاول بشتى الطرق التخلص من

زوجهـــا الوفـــى. ولكن فى نهاية القصة نستشف منها أن نهاية الزوجتين جاءت متشابهة وواحدة حيث تم قتلهما جزاءاً لما اقترفته أيديهما.

وأخيراً نلحظ فى قصة الأخوين هذه تكرارها فى كل زمان ومكان، فالزوجة الخائنة التى تحاول الإيقاع بما تراه مناسباً لها موجودة بين البشر وكذلــك الـــزوجة التى تحاول التخلص من زوجها بشتى الطرق، إلا من حفظها ربى من ذلك.

٥- قصة البحار الغريق

يطلـــق علـــى قصة البحار الغريق قصة **"الملاح والجزيرة النائية"** وهـــى مـــن قصـــص عصر الدولة الوسطى وقد وصلت إلينا كاملة غير منقوصة، فقد جاء فى نهايتها:

" **لقـــد كتـــب هـــذا الكتاب من البداية إلى النهاية**" وذلك جرياً على عادة المصريين القدامى، إذا انتهوا من كتابة مقالة ذيلوها بهذه العبارة، فلم يفقد إذن مـــن نهايتها شئ كما أن بدايتها ليست مهشمة أو ممحوه. ولقد اشترى العالم الروسى فلاديمير جولينشف البردية التى تحوى هذه القصة، ولكن لا نعـــرف على وجه التحقيق المكان الذى عثر عليها فيه وهى موجودة حالياً بمـــتحف لينـــنجراد بالاتحاد السوفيتى. ولمْ يعثر حتى الآن على أى نسخة أخرى من هذه القصة مما قد يشير إلى أنها لم تجد إقبالاً من المصريين.

ويمـــيل أكثر الباحثين فى تاريخ آداب الأمم إلى اعتبار هذه القصة الأصل الـــذى نقلـــت عـــنه بعـــض المغامرات المماثلة، مثل **"قصة يوليوس فى الأوديسة"** أو **"قصة السندباد فى ألف ليلة وليلة"**. ومن المرجح أنها كانت جـــزءاً مـــن مجموعة قصص عن مغامرات البحارة، كان يقص كل واحد

منهم أغرب ما صادفه فى حياته ليسروا بذلك عن رئيسهم الذى لم يستطيع تحقيق ما أرسله الملك إليه فى رحلة النيل جنوبى مصر، وكان ذلك الأمير يخشى أن يحل العقاب عند مقابلته للملك بما منى به من فشل. والقصة التى وصلتنا هى قصة أحد الأشخاص التابعين لهذا الأمير، قصها على سيده ليسرى عنه ويهدى خاطره ويخفف من آلامه، ووقعت حوادث القصة التى حدثت لهذا التابع فى إحدى جزر البحر الأحمر النائية، وهى حسب سياق القصة جزيرة مسحورة يسكنها ويحكمها ثعبان خير هائل الحجم له القدرة على الحديث والتنجيم بالغيب.

يذكر الرجل فى قصته أنه هبت على السفينة التى كان يستقلها هو ومجموعة كثيرة من البحارة العارفين بطبيعة البحار ومسالكها، فى البحر الأحمر، وكانوا قاصدين مناجم الملك، عاصفة هوجاء حطمت السفينة، وأغرقت جميع من فيها ما عداه، فقد تعلق بقطعة من الخشب ورماه الموج فوق جزيرة من جزر البحر الأحمر، وكانت الجزيرة عامرة بالفواكه والخضروات والسمك والطيور. وبعد أن نال حاجته من الغذاء قدم قرباناً للآلهة على نجاته، وحينئذ سمع صوتاً شديداً يشبه الرعد، فارتعدت فرائضه من الخوف ونظر أمامه فوجد ثعباناً ضخماً يقترب منه، ويصل طول هذا الثعبان ١٥,٦٠ متراً. وسأله الثعبان عمن أحضره إلى تلك الجزيرة، وعندما قص عليه قصته طمئنه، وأكد له بأنه سيعود مرة أخرى إلى بلده بعد أن يقضى فى الجزيرة أربعة شهور وأخذ الثعبان يهدئ من خاطره ويقص عليه الفواجع التى حدثت له وخرج منها سالماً. وبعد مضى المدة التى تنبأ بها الثعبان مرت سفينة بالجزيرة فاستقلها الملاح بعد أن منحه الثعبان الكثير من خيرات الجزيرة من بخور وعطور وكحل وسن الفيل وكلاب الصيد وقردة ونسانيس، وقال له مع السلامة، مع السلامة إلى

منزلك لترى أولادك واذكرنى بخير فى بلدك، فإن هذا هو كل ما أطلبه منك. ثم قال له ستصل العاصمة بعد شهرين وستحتضن أطفالك، ويرد لك شبابك فى القصر، وستدفن فى بلدك. ويقول الملاح بأن كل ما قاله الثعبان قد تحقق وعاد بكل تلك الخيرات، وأن الملك شكره أمام جميع كبار الموظفين وعينه تابعاً له.

ولكن يبدو أن هذه القصة، التى قصها الملاح ليتأسى بها الأمير ولتهدء بسماعها نفسه إذا ما رأى أن الأمور المحزنة قد تنتهى بخير وسلام، لم تحدث أثرها المطلوب فى نفس الأمير، إذ أن البحار ما كاد ينتهى من سردها حتى فاجأه الأمير بقوله: " **أن قولك هذا كمن يسقى طيراً فى الصباح المبكر ليذبحه بالنهار** " أن أنه قضى عليه بالموت لا محالة فلا فائدة من هذه المسكنات.

والقصة عبارة عن قطعة أدبية ذات أسلوب رشيق ترمى إلى أهداف سامية وتعبر عن عواطف مختلفة، كما جاء بها كثيراً من العظات، ومنها ما جاء على لسان الثعبان ومنها ما أشد فرح الإنسان الذى يقص ما ذاقه بعد زوال الكارثة، " **إذا كانت لديك شجاعة فعليك أن تكبح جماح قلبك**". وترمى القصة إلى هدف آخر وهو "**أنه إذا كان كل حى إلى زوال فكل شدة إلى فرج**"، وهذا ما كان، فقد عاد الملاح إلى وطنه سليماً معافى، ولقى من الملك العطف والرضا.

الفصل الثانى

أولاً: أدب النقد والسياسة

ثانياً: أدب الحوار

أولاً: أدب النقد والسياسة

أظهـر الأدب المصـرى القديـم دوراً عظيماً فى النقد والسياسة ووصف أحوال البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية فى فترات مصـر المخـتلفة. وعلى سبيل المثال فقد قدم لنا وصفاً للحالة السيئة التى وصـلت إليها البلاد فى عصر الثورة الاجتماعية الأولى (بعد نهاية الأسرة السادسـة)، وعمـا وصل إليه الشخص العادى من تصور لحكامه وقواعد الحكم.

كذلـك أظهـر هذا النوع من الأدب كثيراً من الملوك الذين قدموا لأولياء عهودهم تجاربهم السياسية حتى يستفيدوا منها فى حياتهم السياسية المقبلة فى إدارة شئون البلاد، وسوف نعرض فى سياق عرضنا لهذا النوع مـن الأدب نموذجين أحدهما تحذيرات لحكيم يدعى "إيبو-ور" يصف حالة الـبلاد المتردية بعد عصر الدولة القديمة والآخر لنصائح الملك أمنمحات الأول لولى العهد سنوسرت الأول.

١- تحذيرات الحكيم إيبو- ور

كتبـت تحذيـرات إيـبو-ور فى عصر الثورة الاجتماعية الأولى (عصـر الانتقال الأول)، وهى مجموعة من المقالات الاجتماعية والخلقية تصـف لـنا أحوال البلاد فى تلك الفترة، ثم يقدم إيبو-ور نصائحه للملك الجالس على العرش طالباً منه ألا يستمع إلى منافق أو مخادع ممن حوله، وأن يفعل شيئاً لإنقاذ البلاد من كبوتها.

وتتكون تحذيرات إيبو-ور من قول منثور ومن ست قصائد شعرية تحوى جوهر الموضوع نفسه وفيها يخاطب هذا الحكيم الملك قائلاً:

"انظـــر الآن، لقد ارتفعت ألسنة اللهب وامتدت نارها وستكون حرباً على أعداء البلاد".

"انظـــر الآن، لقـــد حـــدث شئ لم يحدث منذ وقت طويل، لقد سرق عامة الـــناس الملـــك وأخذوه .. وأصبح الهرم خالياً مما فيه"، وهذا كناية عن نهب مقابر الملوك ومحتوياتها".

"انظـــر، لـــم يعـــد الفلاح يستطيع أن يحرث أرضه دون أن يحمى نفسه بمجموعة من قطاع الطرق".

"انظـــر، ارتـــدت ســـيدات مصـــر العظيمات ثياباً بالية، وأصبحن يعملن بأيديهن، ويعمل النبلاء فى حوانيت الحرف".

"انظر، إن من كان يرتدى أغلى الثياب، أصبح يرتدى ثياباً بالية، ومن لم ينسج شيئاً لنفسه أصبح الآن مالكاً لأغلى ملابس الكتان".

"انظر، إن النبيلات أصبحن يتضورن جوعاً".

"انظـــر، إنـــه لم يعد هناك وجود للدواوين، وصار الناس أشبه بقطيع لا راعى له".

"انظـــر، أهيـــن الموظـــف، توقف إبحار السفن إلى لبنان، بُعثرت أشلاء الملـــوك، ترك الناس أطفالهم الذين تمنوا ولادتهم، أصبح رجال الأمن فى مقدمة الناهبين، لم يعد الأخ يثق بأخيه".

"انظـــر، لقـــد أُلقـــى بقوانين قاعة العدل ظهرياً، فصارت تدوسها الناس بالأقدام فى المحال العامة، والفقراء يرمونها على الطريق".

"انظر، لقد مات السرور، ولم نعد نتذوقه ولا يوجد فى الأرض إلا الحزن".

"انظـــر، إن كـــلاً من العظيم والحقير صار يقول: ليتنى كنت ميتاً، ويقول الأطفال: ليتنا لم نولد ومتنا قبل هذا".

ثم يتمنى إيبو-ور فى حسرة قائلاً:

"ليـــت الــــناس يفـــنون فـــلا يحدث حمل ولا ولادة، وليت البلاد تخلو من الغوغاء حتى يُقضى على الشجار".

ويؤكد إيبو-ور على ما صارت إليه حال البلاد قائلاً:

"يضـــحك الــــناس ضحكة الألم، ولن يكون هناك من يبكى على ميت، أو يقضى الليل صائماً حزناً على من مات، ولن يهتم الرجل إلا بنفسه".

"لقـــد انـــتهى كل شئ جميل، وصار الناس يفعلون ما لم يفعلوه من قبل، إنهم يأخذون أملاك الرجل ويعطونها للغريب".

ويرد الملك على إيبو- ور مدافعاً عن نفسه ويعلل حدوث تلك المآسى بمهاجمـــة الـــبدو الآسيويين للآمنين من السكان وإحداث الفزع والفوضى بينهم، وأنه فعل ما يستطيع للمحافظة على حياة الناس.

فـــيرد عليه الحكيم إيبو-ور مذكراً إياه بعبادة الآلهة وكيف كانت تعبد فيما مضى، وكيف يجب أن تُعبد فى المستقبل، ويبدأ حديثه بكلمة "تذكر":

"تذكر كيف يقدم الماء من إبريق فى بكرة الصباح".

"تذكر كيف تجلب الطيور والقرابين وتقدم للآلهة".

"تذكـــر كـــيف تقام أعمدة الأعلام، وتنقش أحجار القربان، ويطهر الكاهن المعبد، ويعطر المعبد ويخلد خبر القربان".

"تذكر كيف تراعى القواعد، وتنظم أيام الشهر، ويعزل الكهنة الأشرار".

وبعـــد ذلـــك، يضـــع الحكيم إيبو-ور أمام الملك وصفاً للحاكم العادل المنتظر حسب رؤيته قائلاً:

"من يعمل للبناء.. من يستطيع أن يحيل اللهب برداً وسلاماً، من ليس فى قلبه حقد".

"إن الحاكم هو أبو اليتيم، وزوج الأرملة وأخ من هجره أهله، وغطاء من لا أم له".

ثم يستطرد إيبو-ور فى توجيه التحذير إلى الملك قائلاً:

"لديــك الحكمة والبصيرة والعدل.. ومع ذلك تترك الاضطرابات تنتشر فى البلاد".

"لقــد كذبــوا علــيك، فالبلاد تشتعل كالقش، والناس على شفا الهلاك... فالرجل يُقتل على سطح منزله، بعد أن يكون مراقباً فى حدود بيته، ولكنه إن كان قوياً، فإنه يُنجى نفسه بنفسه، ويبقى حياً..".

"ليتك تتذوق بعض هذا البؤس بنفسك، وعندئذ يمكنك أن تقول...".

ونســتطيع أن نلخــص كلام الحكيم إيبو-ور أنه يتقدم فى خطبة طويلــة باتهــام مريــر يصف فيه حالة البلاد فى عهد الثورة الاجتماعية الأولــى، أمــام الملك وأوقع عليه كثيراً من اللوم لضعفه، ثم ينهى كلامه بالنصح والتحذير من الإهمال والأخذ بالإصلاح.

ويلاحــظ فــى تحذيرات إيبو-ور رغم الجهد الذى بذل فى تنسيق محــتوياتها، أنه لم يراع فى عناصرها الترتيب المنطقى ولكن قسمها إلى فقرات تبدأ كل مجموعة من فقراتها ببدايات متشابهة مثل "انظر" و "تذكر".

وتعـد تحذيـرات إيـبو-ور من أدب النقد والسياسة لأنها مصدر تـاريخى لدراسة أحداث الثورة الاجتماعية الأولى، تلك الفترة التى تغيرت فيها كثير من معتقدات القوم وأفكارهم، وتعد هذه التحذيرات من النصوص التاريخية الهامة لأن صاحبها (إيبو-ور) قد عاصر الأحداث، وكان شاهداً عليها حين وصفها وهى الفترة التى تلت الأسرة السادسة.

كذلـك تعطى لنا تحذيرات إيبو-ور صورة عن مفكرى تلك الفترة حيـث وجـه صـاحبها إيبو-ور النقد اللاذع إلى الملك نفسه بشجاعة ولا خـوف مـن الملك ـ الذى كان يعتبر فى نظر رعاياه قبل تلك الفترة إلهاً فـوق البشر ـ فيتهمه بأنه سبب المتاعب التى حاقت بالبلاد، ثم يزيد من جـرأته ويطلب من الملك أن يتذوق بعضاً من هذا اليأس بنفسه، وبعد كل ذلـك يرسـم ويبين للملك صورة للحاكم الأمثل الطاهر النقى الذى يحمى شعبه ويعمل على راحته.

وأخيراً تظهر تحذيرات إيبو-ور كيف تقبل الملك هذا النقد الشديد مـن أحد رعاياه، وكيف أنه فى بعض الفقرات يحاول أن يبرأ نفسه قائلاً بأنه فعل كل ما فى وسعه لحماية البلاد والشعب على السواء.

٢- نصائح الملك أمنمحات الأول إلى ابنه سنوسرت الأول

جلس الملك أمنمحات الأول على عرش البلاد وأسس الأسرة الثانية عشرة بعد أن كان وزيراً فى عهد آخر ملوك الأسرة السابقة، ونقل عاصمة الـبلاد مـن طيـبة (الأقصـر) إلى اللشت (عند مدخل الفيوم) فى مصر الوسطى، وكانت فترة حكمه من أزهى فترات التاريخ المصرى القديم، فقد

عمـــل علـــى تدبير أمور الدولة وحسن تنظيمها، ولم يدخر جهداً فى نشر الأمـــن والســـلام فيها. ولكن حياته انتهت بمأساة، إذ ذهب ضحية مؤامرة علـــى حياته واغتيل فى قصره وفى حجرة نومه من بعض من وثق فيهم (حراسه).

ويـــرى بعض المؤرخين فى نتائج تلك المؤامرة أنها أودت بحياة الملك أمنمحات الأول، وأنه لم يقل هذه النصائح، وإنما هى عمل أدبى قيل علـــى لسانه، وكأنه يعطى النصيحة لابنه من العالم الآخر، فى حين ذهب آخرون إلى أن الملك أمنمحات قد أصيب فى تلك المؤامرة ولم يلق حتفه، ومـــن ثم أشرك ابنه سنوسرت معه فى الحكم، ثم زوده بتلك النصائح التى عرفـــت باسم "النصائح التى ألفها الملك **"سحتب إيب رع ابن رع أمنمحات متحدثاً برسالة لولده سيد الجميع"**.

كانت نصائح أمنمحات الأول هذه من أحب القطع الأدبية إلى قلوب المصريين القدماء، وقد أخذت نصيباً من الشهرة فى عصر الدولة الحديثة (الأسرات ١٨ وحتى ٢٠)، وتوجد من هذه النصائح أربع نسخ فيها النص الكـــامل، كما وردت أجزاء منها على نحو تسع قطع من الأوستراكا (قطع الفخـــار الصـــغيرة)، يـــرجع تاريخها إلى عصور مختلفة، تبدأ فى عصر الأســـرة الثانية عشرة، وتنتهى فى عصر الأسرة العشرين، وقد نسخ كثير مـــن التلامـــيذ أجزاء من تلك النصائح كتمارين فى عصر الأسرة التاسعة عشرة، لذلك فهى حافلة بالأخطاء اللغوية.

تعـــد نصـــائح أمـــنمحات الأول قطعة أدبية ممتازة احتوت على خلاصـــة تجاربه الشخصية الكبيرة، يصف فيها أعماله وما لقيه من جحود وســـوء تقدير، ولم نجد فى تلك النصائح سوى الشعور بالمرارة والتحذير

ممـــا يخونون العهد ويقابلون الإحسان بالإساءة، كذلك تظهر تلك النصائح الأحوال السياسية فى البلاد، بجانب الأحوال الاجتماعية بعد أن تجرأ بعض الحراس على ملكهم وقاموا باغتياله دون أدنى خوف من ذلك.

تبدأ نصائح أمنمحات الأول لابنه بذكر من كتبها ولمن قائلاً:

"النصـــائح التى ألفها جلالة الملك "سحتب إيب رع" ابن رع "أمنمحات" متحدثاً برسالة لابنه سيد الجميع".

ويتضـــح من تلك البداية خوف الملك على ابنه ويتمنى أن يستفيد الابـــن ممـــا يسمعه ويعمل به حتى لا يواجه ما واجه الأب من جحود من بعض رعاياه، فيذكر له قائلاً:

"انصـــت إلـــى ما أقوله لك، حتى تحسن حكم البلاد، وتسيطر على العالم وتحقق الخير الوفير"، ثم يتبع ذلك بالتحذير قائلاً:

"احـــذر أتباعك، لا تقرب مرؤوسيك إليك كثيراً، لا تقربهم وأنت بمفردك، ولا تملأ قلبك بأخ، ولا تثق فى صديق ولا تقربه إليك فلن يكون من وراء ذلك فائدة".

"لتكن حارس نفسك عندما تنام، إذ ليس للرجل أصدقاء فى ساعة الشدة".
بعد ذلك يذكر أمنمحات لابنه سنوسرت ما قام به تجاه رعاياه قائلاً:

"لقـــد أعطيت الفقير، وربيت اليتيم، وساعدت المحتاج، ولكن أولئك الذين أكلـــوا خـــبزى هم الذين ثاروا ضدى، وذلك الذى مددت له يد العون هو نفسه الذى أساء إلىّ وأولئك الذين لبسوا كتانى الرقيق نظروا إلىّ كخيال، وأولئك الذين تعطروا بعطرى دخلوا إلى مخدعى ليغدروا بى".

"إن تماثـيلى وصورى قائمة بين الأحياء، وأعمالى ذائعة بين الناس ومع ذلـك فقد دبروا مؤامرة ضدى لم يسمع بها أحد، وأقاموا صراعاً كبيراً لم يره أحد (أى لم يفش أحد إلىّ بسره)، لقد قاتل الرجال فى مكان الصراع، ونسوا ما كان بالأمس".

ثـم يسرد أمنمحات لابنه سنوسرت تفاصيل المؤامرة التى عايشها لحظة بلحظة قائلاً:

"كـان ذلـك بعـد طعام العشاء، حينما أقبل الليل، وانصرفت إلى مخدعى لأستريح بعضاً من الوقت، فرقدت على سريرى من شدة التعب، وبدأ قلبى يغفـل ونمت، وسرعان ما شعرت بالأسلحة وكأنها تتحرك، وسمعت من يذكـر اسمى فقمت وكأنى ثعبان الصحراء، قمت من نومى لأقاتل، وكنت وحيداً بمفردى وقد أدركت أن هذا هجوم دبره الحرس، ولو كنت أُسعفت بالسـلاح فـى يدى لكنت قد شتت شمل الغادرين الجبناء، ولكن لا يوجد شـجاع فـى ظلام الليل، ولا يمكن للإنسان أن يحارب وهو وحيد، وليس هناك نجاح بغيرك أنت الذى تقوم على حمايتى".

ثـم يتطرق الملك أمنمحات إلى إخبار ابنه بتولية العرش من بعده قائلاً:

"انظـر، كيف أريق الدم، وأنت بعيد عنى، وها أنذا أعهد إليك بالمُلك قبل أن يسمع بذلك رجال القصر، وأنى لفاعل ما تريد، ومن قبل لم آخذ الحذر لشـر تلـك المؤامـرة، لأنى لم أكن أتوقعها ولم تفطن نفسى إلى تراخى الحرس".

ويسأل أمنمحات نفسه سؤالاً عن سبب مؤامرة اغتياله هذه قائلاً:

"انظر: أكانت المؤامرة بفعل الحريم؟ وهل تربى القتلة داخل قصرى؟ وهل خُدع الخدم فيما فعلوا؟ إن سوء الطالع لم يلزمنى منذ ولادتى (كما لزمنى اليوم)، ولم يحدث شئ من قبل مثل بسالتى وإقدامى، ومع ذلك فهذه خاتمة كل شئ".

هذه بعض من نصائح الملك أمنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول الذى كان وقت وقوع تلك المؤامرة على حياة الملك فى حملة عسكرية فى الصحراء الغربية، ومن ثم عاد مسرعاً بعد أن أتاه رسول القصر الملكى وأخبره بما حدث للملك.

ثانياً: أدب الحـــــوار

عـــرف الأدب المصـــرى القديم أدب المحاورة، محاورة الإنسان للإنســـان، ومحاورة الإنسان لروحه، ومحاورة بعض جسم الإنسان لبعضه الآخر، ومحاورة الحيوان للحيوان ومحاورة الطير للطير، ومحاورة النبات للنبات، فضلاً عن محاورة المعبودات للمعبودات.

ويقدم أدب المحاورة صورة للعصر الذى قيلت فيه، ويرسم صورة للحـــياة الاقتصادية والاجتماعية التى يعيشها الشعب، بل ويصف فى الواقع الحالـــة الحقيقـــية والتجارب الشخصية لنفس معذبة تتألم مما حاق بها من الظلـــم، كذلك يقدم أدب المحاورة خبرة الإنسان فى الحياة، وخير مثال من هذا النوع من الآداب هو "**بردية اليائس من الحياة**".

بردية اليائس من الحياة

تعـــد بـــردية اليائس من الحياة نقاشاً فلسفياً بين رجل قد يئس من حـــياته، وأراد أن يتخلص منها بحرق نفسه، ولكن روحه تعارضه وتهدده بأنها ستهجره، ولكن الرجل كان حريصاً على بقاء روحه معه فأخذ يغريها ويناقشها، وأخيراً قبلت الروح بأنها ستأتى إليه ثانية بعد الموت.

تـــرجع بـــردية اليائس من الحياة إلى الأسرة الثانية عشرة، وربما نســـخت مـــن عصر ما قبل الدولة الوسطى، فى وقت الاضطرابات التى حدثـــت بيـــن الدولتين القديمة والوسطى، أى فى عصر الثورة الاجتماعية الأولى.

تتكون البردية (محفوظة فى متحف برلين) من مقدمة طويلة بليغة، فـــيها حوار بديع، ثم أربع قصائد شعرية يذكر صاحبها واسمه "نسى" فى الأولـــى كيف قل تقدير الناس للرجل الفقير، وفى الثانية يروى بعضاً من

مأســاته ومبيــناً مدى ضيقه بالناس وبدنياهم، ورأيه هذا ــ لا شك مع أنه ملئ بالتشاؤم ــ يمثل كيف يئس من حياته وصمم على إزهاق روحه، وفى الثالــثة يبــتعد "تســى" بوجهه عن شرور الدنيا، ثم يتأمل الموت كمنجاة مــباركة له، وفى الرابعة يصف "تسى" امتيازات الموتى الذين لهم القدرة على مقاومة الشر وحرية الاتصال بالآلهة.

تعــد "بــردية الــيائس من الحياة" أقدم صيغة وصلت إلينا تم مدح المــوت فيها، وعبر الفرد فيها كذلك عما أصابه من العذاب ظلماً وعدواناً، وأول صــرخة من متألم وصلتنا من العالم القديم، وتقدم لنا كذلك جانباً من الرضــا بالدنيا التى التزمت به روح نسى، ولذلك فقد احتدم الجدل بينهما، حــتى تحدثه بأن إقدامه على الانتحار حرقاً سوف تمتنع هى عن مناقشته، ولكــنه يدعوهــا إلــى المناقشة ويرغبها فى أن ينتقل هو وإياها إلى عالم الآخــرة، وبــدأ يستدرجها فى الحديث عساها تشجعه، وأشهد عليها جمعاً تخيله من الناس.

يبدأ نسى مخاطبة روحه فى القصيدة الأولى قائلاً:

"**انظــرى، لقــد أصــبح اسمى كريهاً أكثر من راحة اللحم النتن فى أيام الصيف والسماء الحارة**".

"**انظــرى، إن اســمى كريه أكثر من صيد السمك فى يوم صيده والسماء حارة**".

"**انظــرى، لقد أصبح اسمى كريه الرائحة أكثر من زوجة ردد عنها الناس الأكاذيب بسبب صلتها برجل آخر**".

وفـــى القصـــيدة الثانية يذكر نسى رأيه فى الناس وهو رأى ملئ بالتشاؤم يعبر عن شخص يئس من حياته وصمم على الانتحار، فيذكر ذلك قائلاً:

"لمن سأتحدث اليوم، فقد أصبح الرفاق أشراراً، وأصدقاء اليوم لا يحبون (أصدقاءهم)".

"لمـــن سأتحدث اليوم، فالقلوب ملأى بالجشع، ويسرق كل شخص ما عند صديقه".

"لمـــن سأتحدث اليوم، فلم يعد هناك شخص حسن المعاشرة ووجد الرجل الميال إلى الشر طريقة إلى كل الناس".

"لمن سأتحدث اليوم، فقد استحال الرجل الطيب إلى رجل شرير، ويرفض الناس عمل الخير فى كل مكان".

"لمن أتحدث اليوم، فالناس يسرقون، وكل شخص يسرق متاع جاره".

"لمن أتحدث اليوم، فليس للمريض صديق يوثق به، وأخوه أصبح عدوه".

"لمـــن أتحـــدث اليوم، فلا أحد يذكر آلامى، وليس هناك اليوم من يجازى بالخير من قدمه".

"لمـــن أتحدث اليوم، وما عاد أحد يذكر الماضى ولا معونة لأحد فى هذه الأيام".

"لمن أتحدث اليوم، فالأخوة أصبحوا أشرار والمرء يُعامل كعدو، والوجوه محجوبة، وكل شخص يولى وجهه عن إخواته".

"لمن أتحدث اليوم، وما من أحد سليم القلب، ومن كان يُصاحب لم يعد له وجود".

"لمن أتحدث اليوم، فليس هناك عدل، والأرض تسلمها الظالمون".

"لم أتحدث اليوم، وأنا مُتعب وتعيس وفى حاجة إلى صديق".

"لمن أتحدث اليوم، والخطيئة التى تُعجل بالأرض تبدو وكأنما لا نهاية لها"

وفى قصيدة "نسى" الثالثة يذكر الموت ويعدد مزاياه قائلاً:

"الموت أمامى اليوم، مثل شفاء رجل مريض".

"الموت أمامى اليوم مثل الخروج إلى الهواء الطلق بعد سجن طويل".

"المـــوت أمـــامى اليوم، مثل رائحة اللوتس (العطر) تخدرنى كما لو كنت جالساً على شاطئ الانشراح (السُكر)"

"الموت أمامى اليوم كالسماء عندما تصفو، ومثل حصول الإنسان على ما لم يكن يتوقعه".

"المـــوت أمـــامى اليوم كشوق الرجل إلى بيته بعد قضاء سنين طوال فى الأسر".

وتعـــد قصيدة نسى الثالثة هذه هى أجمل ما فى البردية لأنه يذكر مزايا الموت وعدم خوفه منه وهو مقبل عليه (تضاد فى المعنى والكلمات)

وفى القصيدة الرابعة يقسم نسى بأن من يموت سيفوز ويستريح من عناء تلك الحياة ووصف ذلك قائلاً:

"إن الذى يكون هناك، سيكون رباً يحيا، يرد الشر على من أتاه"

"إن الـــذى ســـيكون هـــناك، سيقف فى قارب رع (إله الشمس) وسيعين الأشياء المختارة للمعبد".

"إن مـــن ســـيكون هناك، سيكون عالماً بالأمر، عاقلاً، ولن يُصرف عند شكواه لرع إذا كلمه".

ثم تستمر القصيدة بأن تأخذ الروح فى تخفيف آلام صاحبها فتطلب منه أن يترك الحزن والأسى، وتؤكد له أنهما سيكونان معاً قائلة له:

"سيهدأ بالى بعد أن يستقر أمرك (فى الموت) وسنعيش معاً".

وبعد عرض هذا الجزء من "بردية اليائس من الحياة" يرى البعض فـــى هـــذه الـــبردية ما يمثل رجلين: أحدهما يرى أن الموت هو الخلاص الوحيد للإنسان، إذ يعيش بعده فى عالم كله سلام وأمان، والثانى يرى أنه مـــن الواجب على الإنسان أن ينسى كل أحزان الحياة وآلامها، وأن يجعل السرور وحده يسيطر على حياته.

الفصل الثالث

أولاً: أدب المديح

ثانياً: أدب الملاحم

أولاً: أدب المديح

تــرك لنا المصريون القدماء نوعاً من الأدب يمكن أن نسميه "أدب المديــح"، وامتاز هذا النوع من الأدب بأسلوبه الشعرى الذى يجعله أقرب إلــى الــنظم مــنه إلى الشعر، وخير مثال لذلك القصيدة التى صور فيها الشــاعر الملك "سنوسرت الثالث" وقوته الخارقة، فشبهه بالسد الذى يمنع النهر من ثورة فيضانه، وبالظل الواقى الذى ينعش أيام الصيف، وبالركن الدافئ أيام الشتاء، وبالجبل الذى تتقى به العواصف يوم تثور السماء.

ولا غرابة فى أن أدب المديح ما زال موجوداً فى كل زمان ومكان لمــا يلاقيه هذا النوع من الأدب من قبول واستحسان لدى الملوك والحكام، ولما ينال صاحبه أو قائله من جراء هذا المديح.

وقــد جــرت العــادة أن يذكــر فى مديح الملك صفاته العسكرية وشــجاعته الخارقــة للعــادة وهــذا ما نجده فى مدائح المتنبى وأبى تمام والبحــترى وغــيرهم ممن يبالغون فى صفات الممدوح حتى يجعلوه فى مرتــبة أخــرى غير مرتبة البشر، وهذا بجانب ذكر أعمال الملك العظيمة لشــعبه وحمايــة الوطــن، ومــا يقدمه له الإله من المساعدة فى الأوقات العصيبة بوصفه ابنه الذى يحنو عليه.

وسوف نأخذ مثالين لهذا النوع من الأدب وهما:

١- مديح الملك سنوسرت الثالث   ٢- مديح الملك تحتمس الثالث

١ – مديح الملك سنوسرت الثالث

كــان سنوســرت الثالــث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة (الدولة الوســطى)، ويعــد من أعظم من تولى عرش مصر فى تلك الفترة، وكان محاربــاً قوياً شجاعاً امتدت الإمبراطورية المصرية فى عهده حتى النوبة

وأقام الحصون والقلاع هناك، وعثر على الإنشودة التى شملت مديح الملك سنوسرت الثالث بالقرب من الفيوم، وتتكون تلك الإنشودة من ست مقطوعات جاءت كالتالى:

ففى المقطوعة الأولى يمدح الشاعر الملك سنوسرت الثالث قائلاً:

"لك الحمد يا "خع كاو رع" يا "حور" أيها الصقر المقدس".

"الذى يحمى الأرض ويمد حدودها"

"الذى يقهر البلاد الأجنبية"

"الذى يضم الأرضين (مصر) بين ذراعيه"

"الذى يذبح رماة السهام من غير ضربة عصا"

"الذى يقوى سهمه دون أن يشد خيط القوس"

"الذى أمات سكينه الألوف من رماة السهام قبل أن تطأ أقدامهم حدوده"

"الذى قهر الآلاف ممن لا يعرفون بطشه"

"إن كلمة من جلالته لتخضع أهل النوبة"

"أنت الواحد الفريد، ذو القوة الفتية، الذى يزود عن حدوده"

"أنت من لا يجعل شعبه يدب فيه الوهن"

"أنت جاعل الناس ينامون فى أمان حتى طلوع الفجر"

"وشباب جنوده ينامون لأن قلبه هو المدافع عنهم"

وفى المقطوعة الثانية يذكر الشاعر فرح البلاد بملكها قائلاً:

"ما أعظم فرح الآلهة لأنك ثبت قرابينهم"

"ما أعظم أفراح بلدك لأنك ثبت حدوده"

"ما أعظم فرح أبائك لأنك زدت فى عطائهم"

"ما أعظم فرح مصر بك وبقوتك لأنك حميت النظام القديم"

"ما أعظم فرح شعبك بحكومتك لأنك قضيت على السلب"

"ما أعظم سعادة جنودك لأنك أسعدتهم"

"ما أعظم سعادة شيوخ قومك لأنك جددت شبابهم"

"ما أعظم سعادة مصر بقوتك لأنك حميت أسوارها"

وفـــى المقطوعـــة الثالثة يذكر الشاعر سنوسرت الثالث بكثير من صفاته بأسلوب المبالغة قائلاً:

"ما أعظم سيد وطنه، هو يعدل آلاف الألوف ما هم بالنسبة إليه إلا قليل"

"ما أعظم سيد وطنه، فهو سد حاجز للنهر ليمنع الفيضان"

"مـــا أعظم سيد وطنه، فهو الحمى الذى يلجأ إليه اللاجئ ولن يصل إليه عدوه"

"ما أعظم سيد وطنه، ظل ظليل منعش فى الصيف"

"ما أعظم سيد وطنه، فهو ركن دافئ وجاف فى وقت الشتاء"

"مـــا أعظـــم سيدي وطنه، فهو الجبل الذى يمنع العواصف يوم أن تثور السماء"

"مـــا أعظم سيد وطنه، فهو شديد مثل سخمت (إلهة القوة والحرب) على من تطأ أقدامهم حدوده"

ثـــم يســـتمر الشاعر فى المقطوعة الرابعة واصفاً صفات الملك سنوسرت الثالث قائلاً:

"جاءنا فولى أمر الصعيد، ووضع التاج المزدوج على رأسه"

"جاءنا فوحد الأرضين"

"جاءنا وجعل الأرض السوداء تحت سلطانه وضم الأرض الحمراء"

"الأرض الزراعية والصحراء"

"جاءنا فحمى الأرضين (الصعيد والدلتا) ومنحهما السلام"

"جاءنا فأحيا أهل مصر ومحا آلامهم"

"جاءنا فمد الحياة للناس، وجعلهم يتنفسون"

"جاءنا وأحترم المسن (الشيخ) بما جلبت إلينا قوته"

"جاءنا فأعاننا على تربية أبناءنا، ودفن المسنين منا"

وفى المقطوعة الخامسة يذكر الشاعر علاقة سنوسرت الثالث بالآلهة قائلاً:

"أنت تحب "خع- كاو - رع" الذى يعيش إلى أبد الآبدين"

"هو يعطيك الغذاء"

"أنت راعينا الذى يمنح النفس"

"أنت تجزيه عليها فى سعادة وفى مرات يخطئها العدد"

وتنتهى قصيدة المديح بالمقطوعة السادسة التى جاء فيها:

"ثناء "لخع كاو رع" الذى يعيش إلى أبد الأبدين"

لـــم تظهر هذه القصيدة فى مدح الملك سنوسرت الثالث النتيجة التى أرادها مـــنظمها وقائلهـــا من هذا المديح، حيث لم تذكر صراحة ما جناه من تلك القصـــيدة، ولكن لنا أن نتصور أنه مثل كل الشعراء فى كل زمان ومكان يفـــوزون بنصيب الأسد من هبات وهدايا الملك من جراء هذا المديح الذى يروق لقلب الملك أو الحاكم.

٢- مديح الملك تحوتمس الثالث

وجدت هذه القصيدة على لوحة بمعبد الكرنك بطيبة الشرقية وهى محفـــوظ الآن بمتحف القاهرة، وتحتوى على مديح وجهه الإله آمون رع نفسه لابنه الملك "تحوتمس الثالث" والذى كان يدخل المعبد منتصراً بعد كل غزوة مظفرة.

وتشـــتمل القصيدة على مقدمةُ وخاتمة مكتوبتين بلغة شعرية وأما الجزء الأوسط من القصيدة فإنه شعر مقفى.

ونظراً لأهمية هذه القصيدة فقد اتخذها مثالاً ثلاثة من ملوك الدولة الحديثة وهم "أمنحتب الثالث" و "سيتى الأول" و "رعمسيس الثانى".

تقول القصيدة:

" يقـــول آمون رع، رب العروش فى الأرضين، تعال إلى لتحظى بنورى، أى بـــنى ونصـــيرى (من-خبر- رع) "تحوتمس الثالث" الباقى أبداً، أننى أشـــرق من أجل حبك، إن قلبى ينشرح بمجيئك إلى معبدى ويداى تمنحاك الحمايـــة والحياة، ما أرق الشفقة التى تظهرها نحوى، ولهذا سأثبتك فى معبدى وأمنحك الخير كله ".

" لقـد رزقـتك القـوة والنصر على أمم الأرض جميعاً وبسطت سـلطانك ورهبتك فى كل بلد، وجعلت الرعب منك يمتد حتى عمد السماء الأربعـة، ووضعت احترامك فى كل جسد، نداؤك الحربى يمتد بين أقوام الأقواس التسعة، وجمعت أمراء الأرضين جميعاً فى قبضة يمينك، ومددت يـدى فقـيدتهم جميعاً، صعدت لك الألوف وعشرات الألوف من عصاة الجنوب (أهل القوس)، ثم مئات الألوف من أهل الشمال، وطرحت أعداءك تحـت قدمـيك، لتهلك منهم العصاه والثائرين، حتى دان لك أهل المشرق والمغرب فى طول البلاد وعرضها، تستطيع أن تضرب فيها مغتبط القلب حيث تشاء، دون أن تجد فى ربوعها من يعصيك .

" وجعلـتك تعـبر ماء الفرات إلى (نهرين) قوياً مظفراً بتأييد من عندى يسـمعون صـيحتك فيلوذون بالكهوف والمخابئ، على حين كنت أسلب أنوفهـم نسمة الحياة، وألقى فى قلوبهم الرعب من بأسك، وجعلت الصل علـى جبيـنك ناشراً يأكلهم، ويحرق بناره أهل البحيرات، ثم يأتى على الخارجيـن من الآسيويين فيما يبقى ولا يذر، وهيأت لك النصر تتغلغل به فى الأرض جاعلاً كل من يشرق عليه نورى من رعيتك وعبيدك، ولم يبق تحـت السـماء مـن يعصيك، يجيؤك بأمرى مهطعين، مقنعى رؤوسهم، يحملـون إليك جزى بلادهم، وأتيت لك بالخارجين على سلطانك صاغرين تلتاع نفوسهم، وترتعش أبدانهم ".

" حميـتك مؤيداً لتسحق أمراء "زاهى" (فينيقيا)، فجعلتهم تحت قدميك، ثم ألقيـت علـيك من نورى ما جعلهم يرونك فى صورتى، وحميتك لتسحق الآسيويين، فضربت أمراء العامو فى أعالى فلسطين، وأطلقتك عليهم فى زيـنة الحرب ترديهم من فوق ظهر فرسك، وحميتك لتسحق الشرق، ثم

سقتك على أرض الإله فأريتهم إياك شهابا رصداً، وحميتك لتسحق الغرب وجعلت أهل "كفتيو" (كريت) و "آشى" (الآشيا هى قبرص) تحت سلطانك، يرون فيك فحلا ظافراً فتيا حديد القرنين، لا يغلبه غالب، وحميتك لتسحق أهـــل البحـــيرات، فبات أهل ميتانى يهتزون أمامك رعباً وخوفاً، وأريتهم إياك فى صورة تمساح يملأ الماء رعباً، فلا يدنو منه أحداً ".

" وحميـــتك لترهـــب أهل الجزر فى قلب اليم، تروعهم صحيتك فى ساحة الوغـــى، وأريتهم إياك كالظافر يصول فوق ظهر غريمه، وحميتك لتهلك "التحـــنو" (الليبيين) و "الأوتنتيو" تصرعهم قوتك، وأريتهم إياك فى أقصى الأرض، وجعلت ما يحيط بالأقيانوس فى قبضتك، وأريتهم إياك فى صورة "فهد" ثائر يذرع شطرى الوادى، وحميتك لتسحق النوبة، وجعلت بقاعها فـــى يمينك حتى "شط" (مكان غير معروف فى النوبة)، وأريتهم إياك فى صـــورة أخويـــك (حـــور وســـت)، ووضعت أختيك (إيزة ونفتيس) خلفك لحمايـــتك، على حين أن ذراعى جلالتى كانتا مرفوعتين لتقبضا على كل شر ".

" إنـــى أمدك بحمايتى يا ابنى، يا أيها الثور القوى الذى يسطع فى طيبة، الذى أنجبته أعضائى الإلهية، تحوتمس المخلد أبداً، الذى عمل لى كل ما تـــتوق إليه نفس (كا)، لقد أقمت لى بيتاً، وهو عمل سيبقى أبداً، وجعلته أطـــول وأعـــرض مما كان عليه من قبل، والباب العظيم (من خبر رع- أعـــياد آمـــون رع)، أن آثارك أعظم من آثار كل ملك سلف، أننى راض عنها، لقد ثبتك على عرش مصر لملايين السنين، حتى ترعى الأحياء إلى أبد الأبدين ".

ثانياً: أدب الملاحـــــم

عـــرف المصريون القدماء نوعاً آخر من الأدب أُطلق عليهْ "أدب الملاحـــم"، وقد ظهر هذا النوع من الأدب فى فترة عصر الدولة الحديثة، وخاصـــة عصـــر الأسرة التاسعة عشرة التى أخذ ملوكها فى الحفاظ على الإمـــبراطورية المصـــرية فـــى آسيا فى وقت أخذ بعض حكام تلك البلاد يـــتطلعون إلـــى الانفصال عن مصر، بل وأخذ الحيثيون يدخلون فى نزاع عسكرى مباشر مع مصر مما جعل ملوك الأسرة التاسعة يقومون بحملات عسكرية كثيرة للقضاء عليهم، فقد قام الملك سيتى الأول بحملات ثلاث فى فلســطين وســورية نجح فى أن يمد حدود الإمبراطورية المصرية ويثبت هيبة النفوذ المصرى فيها وأن يهزم الجيش الحيثى.

وقد خلف رمسيس الثانى أباه سيتى الأول على عرش مصر، وفى عصـــره بـــدأ الصـــراع العسكرى الكبير بين مصر والحيثيين وفى العام الخـــامس من حكم هذا الملك حدثت معركة قادش، حيث كتب فيها النصر لرمســـيس الثانى بعد أن تعرض لكمين كاد أن يقضى عليه وعلى جيشه، وقـــد وصـــف شاعر الملك رمسيس الثانى موقف الملك فى محنته الكبرى عندما أحاطت به قوات العدو، فأخذ يستغيث بأبيه الإله "آمون" ويطلب منه العون ولما تأخرت معونته أخذ يناجيه معاتباً إياه عتاباً يصور ما فى نفسه.

ملحمة معركة قادش

ســـجل الملك رمسيس الثانى أخبار نصره على الحيثيين فى ملحمة شـــعرية رائعـــة جعلـــته من أبطال المعارك، وقد نسبت الملحمة خطأ إلى كاتبها "**بنتاؤر**" الذى لم يفعل شيئاً سوى تدوينها (من الأصل)، ولهذا فشاعر الملحمة الأصلى ما زال مجهولاً حتى الآن. هذا وقد سجلت أخبار معركة

قادش هذه على واجهات وجدران المعابد منها معبد الأقصر ومعبد الكرنك، ومعبد أبيدوس ومعبد الرمسيوم كما رسمت المعركة بتفصيلاتها داخل معبد أبو سمبل الكبير.

سـجل شاعر الملك رمسيس الثانى أخبار معركة قادش فى ملحمة شـعرية رائعة، أشاد فيها بشجاعة الملك وقوته، وبطولته الفذة، ثم صبره وحسـن بلائـه وقت الشدة، وكيف أنه اندفع فى صفوف العدو حتى إذا ما توسـطها، أحاطت به عجلات الحرب، يعلوها الرجال، فأخذ الملك يقاتلهم وحـده بكـل شجاعة غير مبالٍ بما يحدث له، وتستمر الملحمة فى وصف المعركة وحالة الملك رمسيس الثانى فى محنته هذه، وأنه أخذ يستغيث بأبيه "آمون" ويطلب منه العون. ويستجيب الإله آمون إلى دعوات ابنه رمسيس ويسمع الملك صوت آمون آمراً إياه وقائلاً:

"تقدم يا بنى فإنى معك، فأنا أبوك وأنى لأكثر نفعاً لك من فئات الألوف من الرجال، أنا رب النصر الذى يحب الشجاعة".

وبعد ذلك يصف الشاعر الملك بأنه أحس أن ربه آمون يدفعه إلى القـتال، فـيهجم علـى جماعات كثيرة من الأعداء ويبدى شجاعة خارقة ويسـتطيع أن يـنقذ نفسـه من هذا المأزق الخطير الذى وضعه فيه ملك الحيثيين وجنده عندما أحاطوا به من كل جانب فى وقت تفرق عنه جنوده وتـركوه وحـيداً فـى أرض القتال، ويذكر رمسيس أنه قابل هذا الموقف العصـيب بحزم وقوة، ثم التفت إلى جنوده وأمرهم أن يتصفوا بالشجاعة وأن يثبـتوا فى أماكنهم وأن يحذوا حذوه بل يلومهم على تفرقهم من حوله قائلاً "ما أشد تخاذل قلوبكم يا فرسانى، وأنه لمن العبث الاعتماد عليكم"، ثم أطال الشاعر فى توبيخ الملك لجنوده، وأخذ يذكر ما أسداه لهم من معروف

وأعمال الخير، وكذلك ذكر لهم ما قام به تجاه الإله آمون من خدمات وما قدمـــه له مـــن قرابيـــن. وبعد أن تم النصر للملك هرعت إليه جنوده فى معســكره، وأخذوا يفاخرون بشجاعته، على أن الملك لم ينخدع بذلك وأخذ يوبخهم مرة ثانية ويذكرهم بما قام به من أعمال وخدمات داخل البلاد أثناء السلم.

مـــن ملحمة معركة قادش هذه نلحظ أن الشاعر أراد أن يرسم لنا حـــوادث معيـــنة فى صورة ملحمة لم تقتصر فى صياغتها على الأسلوب الخـــلاب والألفاظ العذبة، بل رأى أن من واجبه أن يقص علينا جزاءً من الحقـــيقة التى حدثت فى أرض المعركة، ورأى أنه يجب أن يضع بجانب هذه الحقيقة بعضاً من الخيال، كذلك أظهرت تلك الملحمة أن شاعرها لديه المهارة الفنية فى صياغتها وترتيب حوادثها، وأظهر كذلك بطلها أعظم من كـــل الأبطـــال الآخرين الذين حوله فى أرض المعركة، لذلك جاءت تلك الملحمـــة متماسكة الأطراف، محبوكة، سهلة الألفاظ، وجعل الشاعر الملك رمســـيس الثانى بطل هذه الملحمة يظهر فى صورة ضخمة أظهرته كأنه عملاق وسط أقزام. كذلك أظهرت تلك الملحمة عنصر المبالغة وهذا مباح فـــى وصـــف المعارك، وفى التقارير الحربية التى ترفع من شأن الملوك والحكـــام، وتحـــث علـــى الوطنية والدفاع عن الوطن لدى أفراد الشعب، وبعبارة أخرى ربما أراد الشاعر من تمجيد الملك رمسيس الثانى أن يجعله قـــدوة ومـــثالاً يُحتذى به سواء من قبل الملوك الذين سوف يأتون من بعده وأن يكونوا فى مقدمة المدافعين عن الوطن وأن يضحوا بأنفسهم فى سبيل ذلـــك، أو مـــن قبل الجنود والرعية فى عدم ترك أرض المعركة والدفاع كذلك عن بلادهم بكل غال ونفيس.

الفصل الرابع

أدب الحكم والنصائح

اهـتم المصـرى القديم اهتماماً كبيراً بسرد الحكم والنصائح التى استمرت حتى اليوم من أحب الأشياء إلى قلوب الجميع لأنها تقدم لهم خلاصة تجارب الحياة وتبين لهم طريق السعادة وتضع بين أيديهم المثل العليا التى يستطيعون الاقتداء بها فى الدنيا والآخرة وتنظم العلاقات الاجتماعية بين الناس.

وكان الهدف الرئيسى من تلك الحكم والنصائح أن يكون المرء موظفاً كفئاً ناجحاً فى عمله ويؤديه على أكمل وجه، إلى جانب أن تلك النصائح كانت تهدف إلى تخليد ذكرى الحكماء والكتاب وإرشاد المرء إلى دراسة الحياة والتعامل الصحيح فى نواحيها المختلفة، وكيف يمكن له أن يتحدث مع غيره ويجيب عما يسأل عنه بإجابات صحيحة مما يمهد له طريق النجاح والتقدم فى الحياة.

وأيقن المصرى القديم (الكاتب) أنه إذا نجح فى نشر نصائحه القيمة خُلد اسمه على مر العصور، ولذا فقد كان الكاتب يختار أحب الناس إليه ليضع أمامه نصائحه وحكمه حتى يحفظها ويُعمل بها ويعلمها لمن بعده من ذريته.

وقد تولى هذه النصائح وتكفل بها آباء مثقفون تارة ومعلمون من الكهنة تارة أخرى، بجانب بعض الأدباء الذين اتخذوا صفة الآباء والمعلمون ومنهم من كان من الأمراء أو الوزراء أو أواسط الكتاب والكهنة حيث لم تكن الحكمة قاصرة على أحد دون آخر.

وكان الكاتب يعطى نصائحه ومؤلفاته الأدبية الاهتمام ويبذل فى تأليفها جهداً عظيماً لأنها عنده أرفع مكانة من كل أمور الحياة لأنها ستبقى بعد زوال كل شئ، وتوجد بردية من عصر الرعامسة (الأسرتان

١٩، ٢٠) تصـــور لنا هذا الاعتقاد القديم عند الكاتب المصرى حيث ورد فيها:

"ولكـــن إذا فعلت هذه الأشياء فإنك تصبح كاتباً ماهراً، والكتاب المثقفون الذين يرجع عهدهم إلى عهد ورثة الآلهة، وهم الذين تنبئوا بالمستقبل قد بقيت أسماؤهم خالدة رغم أنهم تواروا عنا لانتهاء أجلهم، ورغم أنهم لم يقيموا أهرامات (قبور) لهم ولم يكن لهم ورثة من الأولاد لذكر أسماءهم، بـل جعلوا لأنفسهم خلفاء من بعدهم من الكتب والتعاليم التى ألفوها، فقد كانـــت لفافـــات الـــبردى كاهناً مرتلاً، وألواح الكتابة ابناً باراً بهم وكتب التعاليم والنصائح كانت أهرامهم، والقلم ابنهم، ووجه الحجر (الذى يكتب عليه) زوجتهم، وجعل الناس صغيرهم وكبيرهم أطفالاً لهم، لأن الكاتب رئيســـهم، وقد أقيم لهم مقابر غير أن مصيرها كان إلى الزوال ونُسيت، ولكـــن أسماءهم كانت تذكر عن مؤلفاتهم التى وضعوها، وبقدر ما كانت من الإتقان كان يكتب لصاحبها البقاء والخلود".

وكـــان المصرى القديم يحبب العلم والكتابة إلى أبنائه، فيذكر ذلك بقوله **"فكن كاتباً، وضع ذلك فى قلبك وبذلك يبقى اسمك، وإن مؤلفاً واحداً لأعظـــم فائدة من لوحة قبر منحوتة ومن جدران قبر أحكم تأسيسه، حقاً إنـــه مـــن الخير أن يكون اسم الإنسان فى فم الناس فى الجبانة، فالرجل يمـــوت وجثـــته تـــبلى وكذلك تصبح كل ذريته تراباً، ولكن الكتب (التى يؤلفهـــا) تجعله مذكوراً فى فم من يلقيها، وإن كتاباً واحداً لأكثر نفعاً من بيت يُؤسس ومن قبر فى الغرب ومن قصر عظيم ومن نصب تذكارى أقيم فى معبد".**

ثـــم ينـــتقل كاتـــب الفقرة السابقة إلى ترغيب من يتحدث إليه عن طـــريق ذكـــر الكتاب العظام الذين استمرت ذكراهم ويذكرهم الجميع من خـــلال مؤلفـــاتهم فـــيقول هل يوجد إنسان مثل **"حور ددف"** و **"إيمحوتب"** و **"نفرى"** و **"خيتى"** و **"بتاح إم تحوتى"** و **"بتاح حتب"** وهؤلاء هم الحكماء الذى تنبئوا بالمستقبل وقد وقع فعلاً ما تكلموا به، وقد وُجد كلام مدون فى كتـــبهم وقـــد مُنحوا أولاد غيرهم ورثة لهم، كأنهم أولادهم الحقيقيون، وقد اخـــتفوا ولكن سحرهم امتد تأثيره إلى كل الناس الذين قرأوا تعاليمهم، ولقد ذهبوا ونسيت أسماؤهم، ولكن الكتابة جعلت المرء يذكرهم".

ولـــم تقتصـــر الحكم والتعاليم على عصر بعينه بل امتدت لتشمل عصـــور مصر القديمة كلها، فهناك من الحكم التى ظهرت فى كل عصر وهـــناك مـــن الحكم التى تكررت فى عصور لاحقة وأصبحت تدرس فى المدارس نظراً لإقبال المصريين القدماء عليها نظراً لما تحويه من مواعظ وحكم وأمثال تنير لهم الطريق فى الحياة.

وقـــد وصـــل إليـــنا من أدب النصائح والتعاليم ثمان وثائق يمكن تقسيمها حسب العصر الذى تنتمى إليه كالتالى:

أ- تعاليم كاجمنى وحكم بتاح حتب (عصر الدولة القديمة).

ب- التعاليم الموجهة إلى مرى كارع (عصر الانتقال الأول).

ج- نصائح الملك أمنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول (الأسرة ١٢).

د- تعاليم آمون أم أوبى (أمنموبى) (العصر المتأخر).

وسوف نشير بشئ من الإيجاز إلى بعض هذه النصائح من خلال:

١- نصائح وتعاليم بتاح حتب.

٢- حكـم كاجمنــــــــى.

٣- النصائح الموجهة للملك مرى كا رع.

٤- نصائح الحكيم آنى.

٥- نصائح وتعاليم آمنموبى.

٦- النصائح الموجهة إلى طلبة المدارس.

١- نصائح وتعاليم بتاح حتب

كـــان بـــتاح حتب وزيراً فى عهد الملك جد كارع إسيسى (الأسرة الخامســـة)، وقد وصل إلينا أكثر من نص من البردية التى تحوى نصائح هـــذا الوزير، وأقدم هذه النصوص يرجع إلى عصر الأسرة الثانية عشرة (الدولة الوسطى)، أى بعد موت بتاح حتب بأكثر من ستمائة سنة.

والنســـخة الكاملـــة من نصائح بتاح حتب موجودة الآن فى متحف اللوفـــر بـــباريس، وتوجد بعض المقتطفات من هذه النصائح وردت على ألواح بعض التلاميذ الذين كانوا يتدارسونها.

وقـــد ورد فى سياق نصائح بتاح حتب السبب الرئيسى لتأليف هذه النصائح والتعاليم حيث كان يرغب بعد أن تقدم به السن أن يتولى منصبه الوزارى ابنه من بعده فذكر ذلك للملك بقوله:

"قد حلت الشيخوخة، وامتلأت الأعضاء آلاماً وظهر الكبر كأنه شئ جديد، وظهـــر الهـــزال بعد القوة، وأصبح الفم ساكتاً لا يتكلم، وضاقت العينان، وأصـــاب الصـــمم الأذنيـــن ... والقلـــب كثير النسيان ولا يذكر ما حدث

بـــالأمس، والعظـــام تتألم من تقدم السن، والأنف كُتم فلا يتنفس، وأصبح القـــيام والقعـــود كلاهمـــا مؤلماً، وتحول الحسن إلى قبيح، ولم يعد لشئ مذاق، وتقدم السن يجعل الإنسان يخطئ فى جميع الأمور".

ثم يطلب الوزير بتاح حتب من الملك جد كارع إسيس أن يأمر بأن يكـــون له "عصا للشيخوخة" وذلك بتعيين ابنه فى وظيفته (وزيراً)، فأجابه الملك إلى ذلك بعد أن قاله له:

"علمـــه أولاً الحديث... وأنى أرجو أن يكون مثالاً لأولاد العظماء، وليت الطاعة تكون رائده، ويُدرك كل فكرة صائبة ممن يُتحدث إليه، فليس هناك ولد يُدرك الفهم من تلقاء نفسه".

وســـوف نذكر بعضاً من نصائح بتاح حتب لابنه وبعد كل نصيحة نذكـــر بعضـــاً مـــن أمـــثلة مشـــابهة لنصائح بعض الحكماء الآخرين فى الموضوع نفسه.

(١) التحذير من غرور العلم (التواضع)

يقول بتاح حتب لولده فى هذا المجال:

"لا تكن متكبراً بسبب علمك ولا تتعال لأنك رجل عالم، استشر الجاهل كما تستشـــير العالم لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها، وليس هناك عالم مســـيطر علـــى علمـــه تمامـــاً، إن الحديث الممتع أشد ندرة من الحجر الأخضر الكريم"

ومن الأمثلة المشابهة للتحذير من غرور العلم:

- **المغرور كالديك الذى يظن أن الشمس تشرق لصياحه .**

- **المغرور كالطائر كلما ارتفع صغر فى أعين الناس.**
- **إذا بلغت القمة فوجه نظرك إلى أسفل لترى من عاونك فى الصعود إليها.**
- **الغرور هو أن ترى ظلك أطول من قامتك.**

(٢) الاستماع والطاعة

يذكر بتاح حتب فى ذلك:

"إن الاستماع مفيد للابن الذى يستمع، ومن يستمع يصبح مستمعاً فيكون حسن الإصغاء وحسن الكلام"

ومن الأمثلة المشابهة للاستماع والطاعة:

- **الأذن تسمع والعقل يصغى ويعمل، فاستمع إلى ما تلتقطه الأذن واعمل بما يمليه القلب.**
- **الإله يحب من يصغى إليه بقلبه وعقله ويبغض من يشغله كلامه عن الاستماع إليه.**
- **كلما كثر كلام الإنسان، كثرت أخطائه وانكشف حقيقته.**
- **رجاحة العقل تنبع من الصمت وكثرة الكلام توقف التفكير.**
- **الذين يتكلمون لا يعملون والذين يعملون لا يتكلمون.**
- **إذا جالست العلماء فأنصت لهم فإنصاتك لهم زيادة فى العلم، وإذا جالست الجهلاء فأنصت لهم فإنصاتك لهم زيادة فى الحكمة.**

(٣) أدب السلوك فى المآدب

يذكر بتاح حتب فى ذلك:

"إذا كنـــت مدعـــوا إلى مائدة من هو أكبر منك، فخذ ما يقدم إليك حينما يوضـــع أمامك، ولا تنظر إلى ما هو أمام غيرك، ولا تصوب نظرات إليه، غض من بصرك حتى يحيك ولا تتكلم حتى يخاطبك، اضحك عندما يضحك فإن هذا يبهج قلبه ويجعل ما تفعله مقبولاً لديه"

ومن الأمثلة المشابهة فى ذلك:

- **لا توجه اللوم إلى الطعام إذا كانت شهيتك منعدمة.**
- **لا تحاول أن تبتلع ما لا يسعه حلقك.**

(٤) احترام الرئيس

"إذ كـــان رئيسك فيما مضى من أصل وضيع، فعليك أن تتجاهل وضاعته الســـابقة، واحترمه حسبما وصل إليه لأن الثروة لا تأتى من تلقاء ذاتها، والإله هو الذى يخلق الشهرة"

ومن الأمثلة المشابهة لذلك:

- **أمن ظهرت لمن هو أعلى منك، وبذلك يبقى بيتك بخيره ويُدفع لك مرتـــبك فى حينه، ومقاومتك من فى يده السلطة قبيح، والإنسان يعيش ما دام متساهلاً.**

(٥) الحث على الزواج

يقول بتاح حتب لابنه فى ذلك:

"إذا كنـــت رجلاً ناجحاً فأسس لنفسك بيتاً واتخذ لنفسك زوجة تكون سيدة قلبك، أشبع جوفها واستر ظهرها وعطر بشرتها بالعطر وأعلم أن العطور خــير عـــلاج لأعضاء جسدها، أدخل السرور على قلبها طيلة أيام حياتها فهى حقل مثمر لسيدها"

ومن الأمثلة المشابهة لذلك:

- **إذا قـــررت الزواج فاختر المرأة التى يشير إليها عقلك وقلبك قبل عينيك.**
- **الزوجة الصالحة منحة السماء لمن يستحقها.**
- **المـــرأة مسكن الرجل، والمرأة الصالحة تجعل من المسكن قصراً والمرأة الخبيثة تحوله إلى قبر.**
- **المرأة الجميلة ليست دائماً فاضلة والمرأة الفاضلة دائماً جميلة.**
- **لتكـــن شـــريكة حياتك التى تختارها امرأة قنوعة ومتواضعة فى أحلامها ومطالبها واسعة فى تفكيرها، كبيرة القلب.**
- **يـــا ولـــدى، العاقل من لا يسلك طريق الحياة بمفرده بل يختار له شريكة تعاونه على أعباء الأيام فى رحلة العمر.**
- **إذا تشـــككت فـــى امـــرأة فلا تتخذها شريكة لحياتك وإذا اتخذتها شريكة لحياتك فلا تشك فيها.**
- **المرأة التى تشتريها بمالك تبيعك بمال غيرك.**

(٦) التحذير من النساء

يحذر بتاح حتب ابنه من النساء قائلاً:

"إذا أردت أن تحـــافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيداً أو أخاً أو صاحباً فاحذر القرب من النساء فيه فإن المكان الذى هن فيه ليس بالحسن"

ومن الأمثلة الأخرى فى ذلك:

- **لا تنظر إلى زوجة جارك إذا أردت أن تصون بيتك وتحفظ كيانه.**
- **من يعشق الجارية يصبح عبداً لها.**

(٧) الحث على الحق والعدالة

يؤكد بتاح حتب لابنه على الحق والعدالة بقوله:

"إن الولد النجيب الذى يهبه الإله يقوم بأداء أكثر مما يأمره به والده فهو يعمل الحق وقلبه يسير عليه وسيكون الملك مرتاحاً لك فى كل ما يجرى، وكذلـــك ستصل إلى أقصى درجات العمر ويكافئك الملك بمكافأة تفوق كل مكافآت الأجداد لأنك تقيم العدل"، وكذلك يذكر له:

"أقم العدل وعامل الجميع بعدالة"

ومن الأمثلة المشابهة لذلك:

- **أيهـــا القاضـــى لا تجلس أمام الميزان لتحكم بين الناس إلا وكنت سليم القلب مطمئن النفس صحيح الجسد مستريح الضمير.**
- **لا تســـمع إلا بوعـــى ولا تفكر إلا بروية ولا تجيب إلا بحكمة ولا تحكم إلا بغير انحياز فحكمك ستحاكم عليه.**
- **الحق ثقيل ولذا فالذى يرضى بحمله قليلون، والباطل خفيف ولذا فيسارع الكثيرون إلى حمله وهم الشهود والمدافعون.**

(٨) الحث على العلم

يحبب بتاح حتب ابنه فى العلم والتعلم قائلاً:

"كن كاتباً حتى يريح عقلك إجهاد جسدك، كن كاتباً حتى تصبح سيد نفسك ولا تكن تحت سيطرة أسياد آخرين وكثيرين"، وكذلك يقول له:

"فـــرح هو قلب الكاتب الذى يزداد شباباً كل يوم بما يعطى للناس، فغذاء العقـــل الذى تقدمه للناس باق، أما غذاء البطن الذى يعطيه لهم الغير لا يدوم.

ومن الأمثلة الكثيرة التى حثت على العلم والتعلم:

- **إن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيش أبد الدهر.**
- **صوت القلم هو أعلى الأصوات لأنه صوت الحق.**
- **ربى زدنى علماً لأعلم وأتعلم وأعلم الناس بما علمتنى حتى تتفتح أعينهم وقلوبهم على رؤيتك.**
- **تعلم ممن هو أكبر منك وعلم من هو أصغر منك.**
- **الفـــرق بيـــن الحصول على العلم والحصول على المال أن العلم يحرسك وأنت تحرس المال.**
- **يـــا بـــنى: تعلم قول لا أدرى فإنك إن قلت لا أدرى علموك حتى تدرى، وإن قلت أدرى سألوك حتى لا تدرى.**

(٩) البـــــر بالأم

حث بتاح حتب ابنه على البر بأمه قائلاً:

"أوصـــيك بأمك التى حملتك، هى أرسلتك إلى المدرسة حتى تتعلم الكتب، وهى تشغل نفسها بك طول النهار، وهى التى تعطيك الطعام والشراب من البيت، والآن وقد كبرت وتزوجت وأصبحت سيد بيتك، التفت إلى تلك التى ولدتـــك وزودتـــك بكل شئ، هى أمك، لا تدع لها فرصة للغضب عليك، لا تدعها ترفع يدها غضباً بسببك لأن الإله سيستمع إليها بلا شك".

ومن الأمثلة المشابهة لذلك:

- **ضـــاعف مقـــدر الخـــبز التى تعطيه لوالدتك، تذكر حينما ولدت، حملـــتك مـــرة ثانـــية بعـــد شهور حملك رقد أعطتك ثديها ثلاث ســـنوات، ولقـــد ألحقتك بالمدرسة لتتعلم الكتابة وقد وقفت هناك يومـــياً بالخـــبز والشـــراب من بيتها، وحينما تصبح شاباً وتتخذ لنفســـك زوجـــة وتستقر فى بيتك اجعل أمام عينيك كيف وضعتك أمك وكيف ربتك بكل الوسائل.**

بعد تلك النصائح من بتاح حتب لولده تأتى خاتمة تمتدح ما فى هذه النصـــائح من فوائد ينبغى أن يتناقلها الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد للانـــتفاع بما فيها من موعظة حسنة وقول حكيم، ثم يحث بتاح حتب ابنه مرة ثانية للإفادة من هذه الحكم بقوله:

"إن حكمتـــى ســـتعلم المرء كيف يتكلم بعد أن يسمعها ويفهمها وبعد ذلك يصـــبح عـــبقرى فى كلامه وفى سمعه وطاعته، وسيكون النجاح حليفه ويعلـــو شـــأنه وتسمو مرتبته وسيظل فاضلاً كريماً حتى آخر أيامه يملأ الرضـــا نفســـه وتهديـــه حكمته إلى مكان الأمان حتى يعيش فى طمأنينة وسعادة على الأرض، وسوف يكون الجميع راضياً بما أوتيه من علم".

مـــن هـــنا نـــرى أن نصـــائح بتاح حتب كانت فى البداية نصائح شخصية من أب لولده، يعطيه فيها خلاصة تجارية فى الحياة ومتمنياً له أن يستفيد منها ليخلفه فى وظيفته لدى الملك (وزيراً) إلا أن هذه النصائح نظراً لحب المصريين القدماء لها ولغيرها من النصائح من حكماء آخرين أخذت تتداول بينهم وتدرس فى المدارس لما فيها من قدوة حسنة وسيرة طيبة لمن قالوها.

لم تقتصر النصائح التى أخذت تتداول بين المصريين على نصائح بـــتاح حتب ولكن كانت هناك الكثير والكثير من نصائح الحكماء فى جميع العصـــور المصرية القديمة واتفقت تلك النصائح على الحث على الأعمال الحسنة والاقتداء بمن فعلها والبعد عن الرذيلة وكان من نتيجة تلك النصائح أن ظهـــر جيل من المصريين القدماء استطاع أن يشيد ويبنى حضارة من أرقـــى وأقدم الحضارات القديمة سواءٍ فى العمارة أو الفن أو جميع جوانب الحياة معتمداً على ما سمعه من الآباء عن الأجداد وما تربى عليه من حكم وأمثال.

٢- حكم كاجمنى

وردت حكم كاجمنى فى بردية بريس المحفوظة بمتحف اللوفر فى بـــاريس، وتـــرجع هـــذه الحكم إلى عصر الدولة الوسطى (الأسرة الثانية عشـــرة) ولكن كاتبها نسبها إلى أيام الدولة القديمة، وربط بينها وبين اسم الملك "سنفرو" مؤسس الأسرة الرابعة.

كانـــت بـــردية بريس تضم كتابين، الكتاب الأول يضم حكم تعاليم كاجمنى، والكتاب الثانى يضم تعاليم وحكم بتاح حتب (السالفة الذكر)، ولم

يتـبق من حكم وتعاليم كاجمنى سوى الصفحتين الأخيرتين وهما فى آداب السـلوك، وقد حد وقت كتابة حكم وتعاليم كاجمنى بنهاية عهد الملك حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة والذى أمر وزيره (ربما كان يدعى كا ارسو الذى كـان حاكماً للعاصمة) بأن يسجل تجارب حياته وخلاصة خبرته فى كتاب بمثابة مواعظ لأبنائه، ومن بينهم ابنه كاجمنى الذى أصبح وزيراً فيما بعد فى عهد الملك سنفرو.

غـير أنـنا لـم نعثر أبداً على اسم وزير يدعى كاجمنى من عهد سنفرو، وربما اختلط الأمر على كاتبها فى الأسرة الثانية عشرة، فاعتقد أن الوزير الشهير "كاجمنى" الذى عاش فى أيام الأسرة السادسة وصاحب القبر المعـروف فى سقارة، إنما قد عاش على أيام الملك سنفرو وربما أعيدت كـتابة نصائح هذا الوزير فى الأسرة الثانية عشرة. هذا وقد جاء فى حكم وتعاليم كاجمنى:

(١) فى الفطنة والحذر فى الحديث

"... المتواضـع الحذر يحالفه النجاح، ويظل سليماً معافى، ومن يـتخذ الاسـتقامة أساساً لعمله يمتدحه الناس، والباب مفتوح للمتواضع، ومـن يكن حذراً وفطناً فى الحديث يجد مكاناً رحباً، ولكن السكين تشحذ لمن يحيد عن الطريق المستقيم".

(٢) فى آداب المائدة

"إذا جلست مع أشخاص كثيرين فاصطنع كراهية الطعام حتى ولو كنـت شديد الرغبة فيه... إن قدحاً من الماء يروى الظمأ، وطبقاً بسيطاً

يكفيك، فالقليل يغنى عن الكثير، تعس هو الرجل الشره من أجل جسده...."

"إذا جلست مع شخص شره فلا تأكل إلا بعد أن يفرغ من وجبته وإذا جلست مع سكير فلا تتناول شيئاً إلا بعد أن يفرغ من وجبته، وإذا أعطاك شيئاً فخذه ولا ترفضه فإن ذلك يريحه".

(٣) فى حسن المعاشرة

"إذا كان المرء غير مألوف العشرة، فما من قول يفيد فيه، أنه يقطب وجهه أمام من يحسنون إليه، وهو نكبة على أمه وأصدقائه، وكل الناس تقول عنه إن فمه لا يستطيع الكلام عندما يخاطبه أحد"

(٤) فى تجنب الزهو

"لا تفاخر وتزهو بقوتك بين من هم فى سنك، وكن على حذر من كل إنسان، حتى من نفسك، إن المرء لا يدرى ماذا سيحدث، كما أنه لا يدرى ما الذى سيفعله الله عندما ينزل عقابه".

ثم تختتم الحكم بالنص التالى:

"ثم نادى الوزير أولاده بعد أن انتهى من مقاله عن قواعد سلوك بنى الإنسان وأحوالهم، كما عرفها بنفسه، وقال لهم:

"اصغوا واعوا كل ما أوردته فى هذا الكتاب طبقاً لما قلته"

"وعندئذ خروا سجداً على بطونهم، وقرأوه طبقاً لما هو مكتوب، وكان فى قلوبهم أحسن من أى آخر فى البلاد كلها، وقاموا وقعدوا متبعين ما جاء فيه".

وعندما وافى الملك حونى واعتلى الملك سنفرو عرش البلاد، عين كاجمنى محافظاً للعاصمة ووزيراً.

٣- النصائح والتعاليم الموجهة للملك "مرى كارع"

عثر على نسخة من هذه التعاليم ترجع إلى عهد الملك تحوتمس الثالث (الأسرة الثامنة عشرة) وهى مكتوبة على بردية تعرف باسم بردية ليننجراد محفوظة فى موسكو وهذه التعاليم موجهة من أحد ملوك أهناسيا إلى ابنه "مرى كارع"، ومنها ينصح ابنه بأمور الحروب والسياسة بأسلوب يدل على فطنة ذلك الملك الخبير فى سياسة البلاد الداخلية والخارجية، ولم يكتفِ بذلك بل أنه يسوق إليه طائفة من الحكم والأمثال والنصائح، ونلاحظ فى هذه التعاليم كذلك بعض الآراء الدينية التى قد تقترب من عقيدة التوحيد، ومما جاء فى هذه التعاليم:

(١) تمجيد صناعة الكلام

يقول الملك لابنه مرى كارع: "كن مفتناً فى الكلام، قديراً فيه، مالكاً لناصيته حتى يعلو شأنك فقوة المرء فى لسانه، والكلام أقوى من الحرب والقتال".

"إن الرجل الفطن لا يهاجمه أهل العلم وهو بفطنته وحسن بصيرته يستطيع أن يتجنب المصاعب فلا يصيبه الضرر ولا يلحق به الأذى".

"اتـــبع آبــائك السابقين الذين سبقوك، انظر، إن كلماتهم لا تزال خالدة تنبض بالحياة فيما خلفوه من كتب".

"افـــتح الكتاب واقرأ ما فيه، واستفد بعلم أجدادك، واتبع تعاليمهم، يصبح المرء عالماً حكيماً مثلهم".

(٢) حب الخير والحذر

"لا تكـــن شـــريراً، فمـــن الخير أن تكون رحيماً عطوفاً، خلد أثر ذكـــراك عن طريق حب الناس لك، فيحمد الناس الإله من أجلك، ويمتدح الناس طيبة قلبك، ويتمنون لك الصحة والعافية".

"... مجـــد العظمـــاء واعمل على سعادة شعبك فكم هو جميل أن يعمـــل المـــرء مـــن أجل المستقبل، ولكن افتح عينيك، فقد يمتلئ المرء بالثقة، ثم يتكشف الأمر عن حسرة الثقة جاءت فى غير موضعها".

(٣) عن كبار الموظفين

ويتحدث الملك لابنه عن كبار الموظفين قائلاً:

"ارفـــع من شأن مستشاريك وأغدق عليهم من الثروة ما يكفيهم، حتى يقوموا على تنفيذ قوانينك بالعدل، لأن الرجل الغنى فى بيته لا يميل مـــع الهـــوى ولا يتحيز، إذ يكون عنده من المادة ما يغنيه، ولكن الرجل الفقـــير (يعنى فى وظيفته) لا يتكلم حسب العدالة، لأن الرجل الذى يقول "ليت لى" لا يكون محايداً بل ينحاز إلى الشخص الذى يعطيه رشوة".

"إن العظـــيم يعد عظيماً عندما يكون مستشاروه عظماء، والحاكم القوى من كانت له حاشية".

"لا تقل إلا الصدق فى بيتك (قصرك) حتى يخشاك الأشراف الذين يسـيطرون على البلاد، والسيد ذو القلب المستقيم يفلح حاله، لأن داخل البيت هو الذى يبعث الاحترام فى الخارج".

(٤) واجبات الحاكم

".... أقـم الحق طوال حياتك على وجه الأرض، وواسى الحزين ولا تظلـم الأرملة، ولا تطرد رجلاً مما كان يمتلكه أبوه، ولا تلحق ضرراً بالقضـاة فـيما يتصل بمناصبهم، وكن حذراً مدققاً حتى لا تظلم أحداً أو تعاقب دون وجه حق".

"لا تقـتل، فالقـتل لا يفـيد، ولا يعود عليك بأى خير، بل عاقب بالضرب والسجن، وبهذا يستقر الأمر فى البلاد حقاً ويستتب، إن الله عليم بالرجل الثائر، والله يجازى عسفه بالدم".

"... ارفـع مـن شـأن الجيل الجديد، إن مجتمعك ملئ بالشباب الناشـئ الذين هم فى سن العشرين فضاعف هذا الجيل الجديد، وزد من عدد أتباعك منه، وزوده بالثروة والحقول والماشية".

(٥) عن العدل والعمل

"لا ترفع من شأن ابن الرجل العظيم على ابن الرجل الوضيع، بل اتخذ لنفسك الرجل حسب أعماله وكفايته".

"احـم حـدودك، وحصـن قلاعك، حتى يكون للجيوش شأن فى الحفاظ على البلاد".

"اقم آثاراً خالدة للإله، لأنها تحيى ذكرى اسم بانيها، وعلى المرء أن يعمـــل ما فيه صلاح روحه، بإقامة الشعائر الدينية كل شهر، وزيارة المعبد، والكشف عن الأسرار المقدسة، والدخول فى قدس الأقداس، وأكل الخـــبز فـــى المعبد، املأ موائد القربان وقدم الخبز الكثير، وضاعف عدد القرابين الدائمة، فإن فى ذلك الخير كل الخير لمن يقوم به".

وتنتهى نصائح الملك بنصيحة عامة لا يفهم منها إلا القليل:

"ليتك تصل إلى (العرش) دون أن يتهمك أحد"

"لا تقـــتل أحـــداً ممن يقفون قريبين منك، بعد أن تكون قد امتدحته والله يعرفه".

"دع الدنيا كلها تحبك"

انظر، لقد حدثتك بخير ما فى نفسى من أفكار وحكم فاعمل حسب ما تراه أمامك.

٤- نصائح الحكيم آنى

أمـــا عـــن نصائح آنى لابنه خونسو حتب، فهى تعد محاولة لتقليد كتـــب الأدب والحكمة فى الدولتين القديمة والوسطى، وهو يشبهها فى أن موضوعه يستهدف النصيحة والموعظة الحسنة الموجهة من أب لابنه، وإن كان أسلوبه اوقع فى النفس ونطاقه أشمل وأوسع.

والنسخة الموجودة لدينا من هذه النصائح ترجع إلى عصر الأسرة الثانـــية والعشرين وهى محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة، إلا أن هذه النســـخة منقولة عن نسخة أخرى أقدم عهداً منها وتدور هذه التعاليم حول

النصائح المتصلة بالتبكير في الزواج والحض عليه وآداب الزيارة، والتحذير من النساء وارتكاب الفاحشة وتجنب كثرة الكلام وتقوى الله. والبر بالوالدين، والتحذير من الإفراط فى شرب الخمور، والتذكير بالموت، ثم ينصح باختيار الصديق وتجنب الأعداء، ثم يحدثه عن الأدب ومكانته فى المجتمع، وفضل الأم، وضرورة الرحمة والبر بالناس، وضرورة حسن معاملة الزوجة ومعاملة الرؤساء، ثم يحضه على العمل والاجتهاد.

(١) يقول آنى لولده "خونسو حتب" فى فاتحة نصائحه هذه:

"سأتحدث بكل ما هو حسن، لكى يعيه قلبك، فاتبع ما أقول، حتى تكون محمود السيرة، بعيداً عن كل شر، ويقول عنك الناس: "إنك لعلى خلق عظيم، ولا يقولون: "إنك فاسد بليد، وإذا اتبعت ما أقول فإنك ستتجنب كل شر، وتبتعد عن مواطن الزلل".

(٢) وفى الزواج المبكر والحض عليه يقول آنى لولده "خونسو حتب":

"تخير لنفسك زوجة منذ الصبا، عساها تنجب لك طفلاً، فإنها أن أنجبته وأنت شاب، استطعت أن تربيه وتجعله رجلاً، وطوبى للرجل إذا أصبح كثير الأهل، وأصبح يرتجى من أجل أبنائه".

(٣) وفى آداب الزيارة يقول:

"لا تكن سليطاً ولا متطفلاً، ولا تدخل بيت غيرك (من غير إذن)، وعندما تكون فى منزل أناس آخرين، وترى عينيك شيئاً فالزم الصمت ولا تبح به لأى شخص كان فى الخارج، حتى لا تكون لك جريمة كبرى، عندما يصل أمره إلى الأسماع".

(٤) وفــى تحذيــر ولده من النساء الغريبات وارتكاب الفاحشة يقول آنى:

"كــن على حذر من المرأة المجهولة، لا تطل النظر إليها عندما تمر بــك، ولا تقضى منها وطراً، فقد تراودك عن نفسها، لا تستجب لها حتى فــى غفلــة من الناس، إنها جريمة يستحق صاحبها الموت عندما يشيع أمرها بين الناس".

(٥) وفى التحذير من الثرثرة يقول آنى لولده:

"لا تكــثر مــن الكلام، والزم الصمت فهو خير لك، ولا تكن ممن يحــبون الخــوض فى الحديث عن الناس، كن حريصاً فى كلامك، إذ أن هــلاك المرء فى لسانه، إن جسم الإنسان أوسع من مخزن الغلال، وهو ملــئ بــأنواع الإجابــات منها الطيب الجيد وقله، واحتفظ بالخبيث السئ حبيساً فى جسمك".

(٦) وفى تقوى الإله واحترام معابده يقول آنى لولده:

"إن شــر مــا يحدث فى بيت الإله هو إحداث الصخب فيه، فصل بقلــب يملــؤه الحــب، ولا تــرفع صوتك بكلماتك، دُع إلهك بقلب ودود. وبكلمات خفية، فسوف يجيب الإله سؤلك، ويسمع قولك، ويتقبل قربانك، اعرف قيمة إلهك، واحترم اسمه، وقدم قربانك له، ولا تتعد على حدوده".

(٧) وفى البر بالوالدين يقول:

"قــدم المــاء لأبيك وأمك اللذين انتقلا إلى قبرهما فى الصحراء، وإياك أن تغفل عن هذا الواجب، حتى يعمل لك ابنك بالمثل".

(٨) وفى التحذير من شرب الخمر يقول:

"لا تفرط فى الشراب، فإنك إذا تكلمت خرجت من فمك عبارة أخرى (غير التى تريدها). وإنك لتسقط فتتهشم أعضاؤك ولا يمد إليك أحد يده، ويقوم رفقاؤك ويقولون: ألا بعداً لهذا الأحمق، وإذا جاء من يبحث عنك ليستجوبك، فإنهم يجدونك على الأرض ملقى مثل طفل صغير".

(٩) وفى التذكير بالموت يقول:

"أقم لنفسك قبراً يرقد فيه جسمانك، فذلك أمر جد هام، لأن رسول الموت سيأتيك، وإذا أتاك، فإنك لن تستطيع أن تقول له: إنى ما زلت صغيراً، فإنك لا تدرى متى تحين ساعة رحيلك عن هذه الدنيا، فالموت يأتى على حين غفلة، وهو يختطف الطفل الذى يرقد بين ذراعى أمه، كما يختطف الرجل الذى بلغ من الكبر عتياً".

(١٠) وفى حسن اختيار الصديق يقول:

"ابتعد عن الرجل الشرير، ولا تتخذ منه صديقاً، وتخير إخوانك بعد أن تبلوهم، وتتحقق من صدقهم واستقامتهم، وتجنب من كان سئ السيرة".

(١١) وفى عدم الغرور بكثرة المال، والدعوة إلى الاعتماد على النفس يقول:

"وقد تملك قطعة أرض، أحيطت بسياج جميل من الأزهار، وتنمو فيها أشجار الجميز، وقد تمتلئ يدك بأجمل الأزهار وأنضرها، ومع ذلك

فقـد تكـون شقياً....، لا تعتمد على مال غيرك، ولا تتكل على ما يملكه شخص آخر".

(١٢) وفى احترام الغير يقول:

"لا تجلس، على حين يقف من هو أكبر منك سناً، أو أرفع مقاماً".

(١٣) وفى الأدب ومكانته فى المجتمع يقول:

"إذا كنت راسخاً فى الأدب، فإن الناس ستعمل بكل ما تقوله لهم. ادرس الأدب (الكتابة) وضعه فى قلبك، فيطيب كل ما تقول".

"إذا عيـن الكاتـب فى وظيفة، فإنه سيرجع حتماً إلى الكتب (حتى يحالفه النجاح)".

(١٤) وفى فضل الأم ومحبتها يقول آنى لولده:

"ضـاعف كمـية الخبز لأمك، واحتملها كما احتملتك، إنها عندما ولدتـك بعـد شهور من حملك، استمرت تحملك حول عنقها، ثم أعطتك ثديـيها سـنوات ثلاثة، إنها لم تتقزز يوماً من فضلاتك، إنها لم تقل لك يومـاً: لـم فعلت ذلك؟ لقد أخذتك إلى المدرسة، إلى حيث تتعلم الكتابة، وانتظرتك هناك كل يوم، ومعها الطعام والشراب الذى أحضرته من البيت، فـإذا ما كبرت واتخذت لك زوجة، وأصبح لك بيت خاص، فلا تنس أمك الـتى حملـتك وزودتـك بكل شئ، فإنك إن نسيتها كان لها الحق فى أن تغضـب علـيك، وأن ترفع يديها شاكية إلى الله الذى سوف يستمع إلى شكواها".

(١٥) وفى الرحمة والبر بالناس يقول:

"لا تـــأكل خبزاً بينما يقف آخر على مقربة منك، دون أن تمد إليه يـــدك بالخـــبز، فهناك الغنى وهناك الفقير، ومن كان فى عام مضى غنياً، صار فقيراً".

(١٦) وفى دوام الحال من المحال يقول:

"إن النهر الذى كان يجرى فى العام الماضى قد يتحول مجراه هذا العام إلى مكان آخر، وأن البحار التى كانت تتدفق بالمياه قد تصبح أماكن جافة".

(١٧) وفى شر البطنة يقول:

"لا تكن شرهاً فى ملء بطنك".

(١٨) وفى آداب دخول بيوت الناس يقول:

"لا تدخل إلى بيت إنسان، إلا بعد أن يؤذن لك بدخوله، ويقول لك صاحبه: أهلاً بك".

(١٩) وفى حسن معاملة الزوجة يقول آنى لولده:

"لا تقـــس على زوجتك فى دارها، إن أدركت صلاحها، ولا تسأل عـــن شـــئ أين موضعه؟ إذا تخيرت له وضعه الملائم، افتح عينيك وأنت صـــامت تدرك فضائلها، وإن شئت أن تسعدها فاجعل يدك معها وعاونها، حاول أن تمنع أسباب الشقاق فى دارك، ولا تعمل على خلقه، واعمل على الاســـتقرار فى دارك، بأن تتحكم سريعاً فى نزعات نفسك، ولكن احذر أن تمشى فى طاعة امرأة، وأن تسمح لها بأن تسيطر على رأيك".

(٢٠) وفى معاملة الرؤساء يقول:

" لا تجب رئيساً وهو غاضب، بل ابتعد عن طريقه، وإذا خاطبك شخص بألفاظ جارحة، فخاطبه بكلام عذب، وهدى من ثورته، فالإجابة المثيرة للنزاع ضرب السياط (لقائلها) فإذا مرت ساعة غضبه، فإن الرئيس سيتحدث إليك، لأن كلماتك الودودة قد استوعبها قلبه".

(٢١) وفى الحث على العمل يقول:

"كن مجتهداً، لأن الرجل العاطل يصبح خاملاً، ولا يكون شيئاً مذكوراً".

وفى ختام النصائح يقول آنى لولده "خونسو حوتب":

"اتبع تلك النصائح، فترقى إلى منصب أبيك، وتصبح رجلاً عال الهمة، وتكون كلماتك درر مختارة، تريح قلبك، ويستوعبها عقلك، ويفرح بها فؤادك".

٥- نصائح وتعاليم أمنموبى
(آمون - إم - أوبت)

ونصل إلى نصائح آمون - إم - أوبت لابنه حور ماخر، وقد عصر على هذه التعاليم مكتوبة على البردى. وهى محفوظة حالياً بالمتحف البريطانى، ويرجع تاريخ كتابتها حسب أرجح الآراء إلى الفترة الممتدة بين الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين واتجه المنصفون من العلماء وعلى رأسهم إرمان إلى القول بأن هذه التعاليم كانت مصدراً أخذت منه حكم سيدنا سليمان عليه السلام فى صفر الأمثال. وتعتبر هذه البردية من

أهم البرديات المتصلة بالنصائح والتى كتبت شعراً فى أسلوب ممتع وتكون كـل أربعـة سطور وحدة، وقسمها المؤلف إلى ثلاثين فصلاً وبدأت هذه التعالـيم بمقدمـة أوضحت الغرض من وضعها، وهو الإرشاد إلى سبيل الخـير والتعريف بقواعد السلوك، وآداب الحديث والمعاملة، ويستطيع من يتفهمها أن يرد على كل سؤال يوجه إليه. وتتميز هذه التعاليم بقوة الإيمان بالخالق، والتسليم بما قدره الله للإنسان والحض على الفضيلة، والنهى عن المـنكر والـبغى، واتباع الطرق السليمة التى يرضى عنها الله، لكى يسعد الإنسـان فـى حياته بما قدره الله له من رزق، وما أسبغه عليه من نعمه. وهى تتحدث عن الرزانة والتواضع والصبر وترسم دستوراً عملياً للحياة، فتشرح واجب الموظف، وتضع قواعد السلوك الواجب إتباعها.

يوجـد الـنص الهيراطيقى لبردية آمون- إم – أوبت فى المتحف البريطانى تحت رقم ١٠٤٧٤، وقد حصل عليها بدج عام ١٨٨٨ م من أحد التجار فى الأقصر.

ويـرى بعض الباحثين أن تاريخ كتابة البردية يجب أن يوضع ما بيـن القرن العاشر والسادس قبل الميلاد. بلغت تعاليم آمون- إم – أوبت حـداً كبيراً من الانتشار حتى أنها استعملت ككتاب للمطالعة والتمرين فى المدارس فى ذلك الوقت، فقد عثر على لوحة فى متحف تورين من الخشب علـيها طبقة من الجص ومكتوب على كل وجهيها فقرات من هذه التعاليم، وتـتكون هـذه التعاليم من مقدمة وثلاثين فصلاً فضلاً عن خاتمة وردت كالتالى:

المقدمة:

بـــدأ آمـــون– إم – أوبـــت تعاليمه بمقدمة شرح فيها الغرض من وضـــعها وتلخيصها لما ورد فيها وتعريفاً بمحتوياتها وحصراً للفوائد التى تهـــدف إلى تحقيقها فهى تتضمن: "دروساً فى الحياة، وإرشاداً إلى الخير، ومجموعة من القواعد التى تتبع فى معاملة الموظفين ورجال القصر، حتى يتصـــرف المرء على ضوئها، ويتمكن من فهم ما فيها فيمكنه الإجابة على كـــل ســـؤال يلقى عليه والرد على كل أمر يستشار فيه، فترشده إلى سبل الحياة، وتكفل له النجاح فى حياته، والراحة لقلبه، وتبعده عن الشر وتجنبه ألسنة السوء، وتجعل ذكراه حسنة عاطرة فى أفواه القوم".

ثـــم اتجه آمون– إم – أوبت بعد ذلك إلى التعريف بنفسه فيذكر أن "مؤلف هذه التعاليم كاتب مصرى، ماهر فى عمله، عمل ملاحظاً للأراضى والغـــلال ومديراً للمكاييل، وأنه هو الذى يسجل الجزر والأراضى الجديدة (المـــتخلفة عـــن فيضـــان النيل) باسم الملك، ويضع العلامات عند حدود الأراضـــى المنزرعة، الكاتب الذى يقرر الأوقاف الإلهية الخاصة بالآلهة كلهـــا، وهو الذى يشرف على الأطعمة وينقل مخازن الأغلال ثم يذكر أنه يوجـــد له مدفـــن حقيقى فى (تاور) وهو المكان المقدس فى أبيدوس، وله مدفـــن تذكارى فى أخميم. كما أنه صاحب القبر الهرمى الشكل فى غربى "ســـنوات" – (بانوبوليس أخميم)، وكانت تقع على الشاطئ الشرقى للنيل، ويشـــير آمون– إم – أوبت فى نصه أن مقبرته كانت تقع فى غربها، ومن ثـــم فإنه يبدو أن الضريح كان موضوعاً فى مكانه فى الجهة الأخرى من الـــنهر بعـــيداً عـــن جـــبانات "بانوبولس" التى كانت منحوتة فى صخور

الصحراء الشرقية، ثم يذكر بعد ذلك أن اسمه هو آمون – إم – أوبت وأن والده هو كانخت.

وبعد ذلك ينتقل آمون – إم – أوبت إلى التعريف بابنه الذى وجهت إليه هذه التعاليم فيذكر عنه أنه "أصغر أولاده" وأصغر أقاربه، ثم أخذ يعدد الكثير من ألقابه ومن بينها المشرف على أسرار الإله مين، وصاحب سقاية الإله ونـنفر (اسم من أسماء الإله أوزير)، ومفتش البقرات السود التابعة لمعبد الإله مين والمحافظ على صورة مين فى محرابه (ويتضح من هذه الألقاب أن ابنه هذا كان أحد كهنة الإله مين فى أخميم). ثم يخبرنا بأن اسم ابنه هو "حور– ام – ماع – خرو" – (حور صادق الصوت – المبرأ).

الفصل الأول: واجب التلميذ

وبعد الانتهاء من هذه المقدمة تبدأ التعاليم التى قسمها صاحبها آمون – إم – أوبت إلى ثلاثين فصلاً، يبدأ الفصل الأول منها بتفصيل واجب التلميذ، وتكليفه بالانتباه إلى التعاليم فعلى التلميذ "أن يفتح أذنيه ويستمع إلى ما يقال ويتفهمه حتى يستقر فى عقله وفى قلبه، وتكون له منه ذخيرة فى الحياة، فيكون النجاح من نصيبه.

الفصل الثانى: نصائح متنوعة

ويتضمن الفصل الثانى نصائح متنوعة يحذره فيها، **"من أن يسلب فقيراً بارئاً، أو أن يكون شجاعاً أمام رجل مهيض الجناح (ضعيف)، وألا يمد يده ليصيب رجلا مسناً بسوء، ولا يسخر من كلمة رجل عجوز، وأن لا يكون رسول سوء، وأن يبتعد عن عمل الفاحشة حتى يبلغ غايته**

ويبــتعد عن طريق الهلاك". ثم يختتم هذا الفصل بقوله "وهناك شئ آخر محبب إلى قلب الإله، وهو التأنى قبل الكلام".

الفصل الثالث: التعامل مع الخصم

ويتــناول الفصل الثالث البحث فى الحزم عند إجابة الخصم، فهو يوصـــى بألا يشتبك فى جدال مع أحمق، وألا يحرجه بالألفاظ وان يعرض عنه، وأن ينام ليلة قبل التكلم (يقصد أن يطيل التفكير قبل الكلام) وإذا تكلم الأحمق فى ساعة غضبه، فيجب عليه أن يتركه وينصرف من أمامه، فإن الله سيتولى جزاءه، ويختم هذا الفصل بقوله **"وإذا أمضيت حياتك واعيا هذه الأشياء فى قلبك فإن أولادك سيعرفونها".**

الفصل الرابع: مقارنة بين الرجل الأحمق والرجل الحليم

ويقَــارن فـــى الفصـــل الرابع بين الرجل الأحمق والرجل الحليم، وينقسم هذا الفصل إلى مقطوعتين تحتوى كل منهم على ستة أسطر، فيهما يقـــابل بيـــن خـــط الرجل الأحمق والرجل الرزين، وكل منهما فى خدمة المعبد، فيشبه الأول بشجرة نبتت فى غابة تفقد خضرتها فى لحظة، ويكون مصـــيرها مرفأ الأخشاب على حين يشبه الحليم بشجرة باسقة فى حديقة، تـــنمو يانعـــة، ويتضاعف ثمرها، فتقف أمام سيدها وثمرتها حلوة وظلها ظليل، وينتهى مصيرها فى الحديقة.

الفصل الخامس: أملاك المعبد

وينقســـم الفصـــل الخامس إلى ثلاث مقطوعات تخص المقطوعة الأولـــى على احترام أملاك المعبد وفيها يقول **" لا تسيئن استعمال أنصبة المعبد، ولا تكونن جشعاً (حتى) تجد الخير العميم (أكثر مما كنت تنتظر)،**

ولا تعــزل خــادم الله، ولكــى تؤدى خدمة لآخر وتذكر المقطوعة الثانية الإنســان بأن الأمور تنقلب كالنيل، وفيها يقول: "ولا تقولن أن اليوم مثل الغــد... فــإن الغد يأتى واليوم زائل، وقد تصبح الجنة العظيمة جافة من الأمواج (أى يصير ماؤها جافاً) وتنكمش التماسيح ويصير جاموس البحر علــى اليابس والسمك يتلقفه الهواء..." وتوصى المقطوعة الثالثة المرء بالرزانة والثقة بالله.

الفصل السادس: التعدى على أملاك الغير

ويحذر الفصل السادس من التعدى على أملاك الغير، وقد ورد فيه:

"لا تزحزح الحد الفاصل (بين الحقول)، ولا تحولن موقع خط المقياس ولا تطمعــن فى زراعة أرض، ولا تقذفن بحدود الأرملة (اى لا تتعد عليها)، وأن الطــريق الــذى حــدده الزمن (يقصد الطريق الذى يوجد بين حدود الحقول، وقد حددته الأيام فأصبح ملكاً للجميع)".

" من يغتصبه ظلماً فى الحقل، بأن يتصيده بالأيمان الكاذبة راقب جــيداً مــن يغتصب ذلك الأرض، لأنه يكون ظالماً الضعيف.. أن أجرانه تخــرب وأمتعــته تنتزع من يد أطفاله، وأملاكه تعطى للغير " ويختتم هذا الفصــل بعــبارات بليغة جاء فيها: "ازرع الحقول حتى يمكنك أن تجد ما تحتاج إليه، وتجنى خبزك من حرثك، وأن المكيال الذى يعطيه الله خير لك مــن خمسة آلاف تكسبها بالبغى، فإنها لا تمكث يوماً واحداً فى المخزن ولا فى الجرن، ولا يعمل منها طعاماً فى وعاء الجعة، ولا تمكث إلا لحظة فــى المخزن فعندما يأتى عليها الصباح تفيض والفقر على يد الله، وخير من الغنى فى المخازن وأرغفة (تكسبها) بقلب فرح خير لك من ثروة مع شقاء".

الفصل السابع: التسليم بما كتبه الإله

ويتمم الفصل السابع الفصل السادس وينقسم إلى أربعة أقسام القسم الأول منها عبارة عن مقطوعة ثنائية يحث فيها على ضرورة التسليم لما قدر على الإنسان وفيها يقول: " **لا تندفعن بقلبك وراء الثروة، إذ لا يمكن تجاهل آلهة الحظ، ولا تشغل أفكارك فى أمور فى الخارج، فكل إنسان مقدر له ساعته (ساعة الحظ). ويذكر فى القسم الثانى الثروة التى تدوم، وجاء فيه: "... ولا تجهدن نفسك فى طلب المزيد عندما تكون قد حصلت بالفعل على حاجتك، لأن الثروة لو أتت إليك عن طريق السرقة فإنها لا تمكث معك (سواد) الليل، إذا عند مطلع الفجر لا تكون فى بيتك بعد....".** ويذكر فى القسم الثالث مزيد القناعة، وفى الرابع يتحدث عن صلاة الرجل القنوع.

الفصل الثامن: الكلمة الحسنة

ويضم الفصل الثامن ثلاثة أجزاء، خصص الجزء الأول منها لإيضاح قيمة الشهرة الحسنة، وفيه يقول: "**اغرس طيبتك فى جوف الناس (فى أعماق نفوسهم) حتى يحبك كل الناس...**" وحض فى القسم الثانى على اجتناب القول الخبيث وجاء فيه: "**احفظ لسانك سليماً من الألفاظ الشائنة، حتى تكون مفضلاً عند الآخرين، ومحترماً فى شيخوختك وتوارى فى كفنك، وتكون فى مأمن من بطش الآلهة**" ويتحدث فى القسم الثالث عن حفظ السر، فيقول: "**لا تفضح إنساناً ائتمنك سره وأن عرض عليك أمر التكتم فيه فيكون رأيك فى نفسك، واجعل الحسن منه على لسانك (يقصد أنه يجب عليه التلطف فى إبداء الرأى)، أما القبح فاخفه فى بطنك**".

الفصل التاسع: تجنب الرجل الأحمق

ويحـــض الفصل التاسع على تجنب الرجل الأحمق وسبله، وعلى الـــرغم مـــن طـــول هذا الفصل فإن أجزاءه مرتبطة بعضها ببعض، وهو يحتوى على ستة وثلاثين سطراً، ومعنى الفصل كله أنه يجب على الإنسان ألا يصاحب الأحمق ولا يقلده، ويبتدئ الفصل وينتهى بمقطوعة تهدف إلى هذا الغرض، وبين هاتين المقطوعتين، توجد أولاً ثمانية سطور تحض على عدم إجابة الرئيس بحمق، ويلى ذلك أربعة وعشرون سطراً تصف الرجل الأحمق "ومما جاء فيه: **"لا تخالطن الرجل الأحمق، ولا تقترب منه تحادثه، واحفـــظ لسانك سليماً عندما تجيب على رئيسك، ولا تذمه واحذر الاندفاع فى الإجابة، فالإنسان يبنى ويهدم بلسانه"** ثم يصف الرجل الأحمق فيقول: **"يقـــول قـــولاً مقذعاً، ويجيب جواب يستحق عليه الضرب، وجوابه ملئ بالشـــر، وهو يثير النزاع بين الأخوة، واللهيب ينفذ فى جوفه، فحذار من أن تنضم إلى هذا الرجل".**

الفصل العاشر: الإخلاص

ويـــتحدث فى الفصل العاشر عن الإخلاص وفى ذلك يقول الحكيم المصرى:

"لا تصـــافحن قريـــنك الأحمق على الرغم منك، ولا تحزنن قلبك من أجل ذلك، ولا تقرئ أحد السلام، عندما يكون فى باطنك حقداً عليه، ولا تتكلمن مـــع إنســـان كذباً فذلك ما يمقته الله، ولا تفضلن قلبك عن لسانك، حتى تكـــون كل طرقك ناجحة، وكن ثابتاً أمام غيرك من الناس، لأن الناس فى

مأمـــن عندما يكون فى يد الله، وأن الممقوت من الله من يزور فى الكلام لأن أكبر شئ يكرهه الإله هو النفاق".

الفصل الحادى عشر: القناعة

ويوصـــى فـــى الفصل الحادى عشر بالقناعة بما ناله الإنسان من نصيب فى هذه الدنيا ومما جاء فيه: "**لا تطمع فى متاع إنسان ولا تتطلع جوعاً لخبزه، فإن متاع الغير لا خير فيه...**".

الفصل الثانى عشر: القناعة

ويعـــد الفصل الثانى عشر تكملة للفصل السابق، وقد جاء فيه: "**لا تطمعن فى متاع شريف، ولا تعطين مقداراً عظيماً فى غذاء الخبز تبذيراً، وإذا نصبك على إدارة أعماله فابتعد عما يخصه حتى يثمر ما تملكه، ولا تشـــاركن رجـــلاً أحمق، ولا تخالطن رجلاً خائناً، وإذا أرسلت لنقل التبن، فابـــتعد عـــن مكيال الغلال، (لأنك لم ترسل لتقوم بذلك) وإياك أن تستهلك رجل فى أمر حقير، لأن ذلك يعوق استخدامه مرة أخرى**".

الفصل الثالث عشر: وصف كاتب الحسابات

وفى الفصل الثالث عشر يصف كاتب الحسابات الطيب فيقول: "**لا تضر رجلاً بجرة قلم على ورقة، لأن ذلك يمقته الله، ولا تشهد زوراً ولا تـــبعدن إنساناً آخر بلسانه ولا تفرض ضريبة على شخص لا يملك شئ، ولا تستعمل قلمك فى الباطل، وإذا وجدت فقيراً عليه ديناً كبيراً، فسامحه فى ثلثيه" وخذ الثلث "وستجد ذلك سبيلاً للحياة، وستضطجع بالليل، وتنام نومـــاً عميقاً، فإذا أتى الصباح فستجد كل ما فعلته على ألسنة الناس. أن**

حب الناس ومدحهم للإنسان خير من الثروة التى فى المخازن وخير للإنسان (أكل) الخبز مع قلب سعيد، من الثراء مع النكد".

الفصل الرابع عشر: الكرامة

ويتحدث فى الفصل الرابع عشر عن الكرامة، فيقول الحكيم المصرى: **"لا تحترم شخصاً بذله، ولا تجهدن نفسك لتبحث عن مساعدته ولا تقبل الرشوة من أحد ولا تخجل أمام أحد وتحنى رأسك له. ولا تلقى بنظرك فى أسفل، واقرئ الناس السلام...".**

الفصل الخامس عشر: الإله تحوت

وفى الفصل الخامس عشر يتحدث عن الإله تحوت إله الكتابة والعلم والكتاب، فيقول: **"اعمل خيراً حتى تعرف من (؟) أنا، ولا تغمس قلماً فى المداد لتفعل ضرراً فإن منقار "أيبس" هو إصبع الكاتب واحذر إزعاجه، فالقرد يسكن فى بيت "الأشمونين" غير أن عينيه تطوفان حول الأرضين، فإنه يرى طعامه فى اللجة العميقة. أما الكاتب الذى يغير بإصبعه، فإن ابنه لن يحفظ فى السجل، فإذا أمضيت حياتك واعياً هذه الأمور فى قلبك، فإن أطفالك سيرونها".**

الفصل السادس عشر: تجنب الموازينُ المغشوشة

ويتحدث آمون – ام – أوبت فى الفصل السادس عشر عن الموازين المغشوشة والمزيفة فيقول: **"... لا تلعبن بكفتى الميزان ولا تطففن الموازين" ولا تنقص من أجزاء مكاييل الغلال... فإن الإله تحوت يجلس بجوار الميزان، وقلبه اللسان (الذى يتحكم فى الميزان)... وإذا رأيت إنساناً يغش، وجب عليك أن تبتعد عنه. ولا تغتالن النحاس،**

واجتنب الكتان الجميل، فما فائدة ثوب من نسيج كتان فاخر إذا كان ضلالا أمـــام الله، وإذا كانـــت قشرة من الذهب توضع على سبيكة تظهرها ذهباً خالصاً، فإنها فى الصباح تنقلب إلى قصدير".

الفصل السابع عشر: كيل الغلال

ويـــتركز الفصل السابع عشر عن كيال الغلال فيقول "احذر إساءة اســـتعمال مكاييل عن حور، أو الغش فى أجزائها... ولا تجعلها خالية فى بطـــنها (أى لا تجعل لها قعراً مغشوشاً) وأدى مكيالها حسب حجمها، ولا تتخذن نفسك مكيالاً ذا حجمين... لأن المكيال هو عين رع، وما يمقته هو الرجل الغشاش...".

الفصل الثامن عشر: ترك الهم

ويتحدث فى الفصل الثامن عشر عن ترك الهم فيقول: "لا ترقد فى اللـــيل مـــتخوفاً مـــن الغد، إذ لا يعلم الإنسان ما سيكون عليه الغد، (إن حـــوادث الغـــد فـــى يد الله) فالله دائماً تدبيره المحكم، والإنسان دائماً فى ظـــنونه الطائشـــة، وبما يقول الناس شئ، وما يفعله الله شئ آخر، ولا تقولـــن ليس ذلك بخطأ منى ولا تجهدن نفسك للبحث عن الأشجار... كن حازمـــاً فـــى قلبك، وثابتاً فى عقلك وحافظ على لسانك هو الذى يسيره، ورب العالمين هو القائد".

الفصل التاسع عشر: المحكمة

ويتصـــل الفصل التاسع عشر بالكلام فى المحكمة ، فيقول: "تدخل قاعـــة المحكمـــة قبل نبيل، ثم تخير كلماتك، ولا تتردد فى جوابك، عندما يكـــون شهودك قد وقفوا قبل الصدق أمام القاضى، ولا تجعل لأحد سلطاناً

عليك فإذا أحضرت أمامه فى اليوم التالى فإنه يقبل كل ما تقوله. وستذكر قولك فى الداخل (قاعة المحكمة) أمام مجلس الثلاثين...".

الفصل العشرين: الأمانة فى الوظيفة

أما العشرون فيتحدث فيه عن الأمانة فى الوظيفة وفيه يقول:

"لا تفسد رجلاً فى قاعة المحكمة، ولا تظلم صاحب الحق، ولا تهتم بشخص لأنه يلبس ملابس بيضاء ناصعة، على حين تترك من يرتدى خرق بالية، ولا تقبل هدية الرجل القوى وتظلم الضعيف من أجله لأن العدل هبة عظيمة من الله يعطيها لمن يشاء، لا تؤلفن لنفسك وثائق مزيفة، لأن فى ذلك حياتك (تستحق الإعدام.... لا تزيفن فى الدخل على دفاترك حتى تفسد تدبير الإله.. سلم الأمتعة لأربابها وابلغ الجاه لنفسك، ولا تغتصب متاعهم، وإلا هلكت".

الفصل الحادى والعشرين: الصمت

ويتحدث آمون – ام – أوبت فى الفصل الحادى والعشرين عن فضيلة الصمت فيقول: "لا تقول: أوجد لى رئيساً قوياً لأن رجلاً فى مدينتك قد أضر بى، ولا تقولن: أوجد لى مخلصاً لأن رجلاً يكرهنى قد أضر بى، إذ أنك لا تعرف فى الحقيقة تدابير الله، ولا تعرف ما يأتى بعد الغد، فاجلس بين يدى الله، وبالعلم تتغلب على الجميع. فالتسامح الصامت يحدث الفزع الشديد فى النفوس، لا تفض بسرك الإنسان، ولا تظهر بذلك نفوذك، ولا تذاع أقوالك لآخرين ولا تصاحبن إنساناً يكشف عما فى قلبه، فالرجل الذى يحتفظ بأخباره فى قرار نفسه خير من الذى يفشيها فيصيبه الضرر...".

الفصل الثانى والعشرين: آداب المناقشة

وفـــى الفصل الثانى والعشرين يحدد آمون – ام – أوبت الأصول الواجـــب إتـــباعها فـــى آداب المناقشـــة، فيقول: "لا تتأثر ضد زميلك فى المحاورة.. ولا تبرزن لتذهب لمقابلته. أنت فكر ماذا يفعل، وستفهم أولاً مـــن جوابه، وكن هادئاً وعندئذ تأتى معرفتك، ودعه لنفسه حتى يفرغ ما فـــى قرار جوفه... وخفه ولكن لا تهمله، أنت لا تعرف تدابير الله ولا ما يأتى به الغد، اجلس بين يدى الله، فإن علمك سيتغلب عليهم."

الفصل الثالث والعشرين: تجنب أكل السحت

ويخـــص فـــى الفصـــل الثالث والعشرين على تجنب أكل السحت فـــيقول: "لا تأكل الخبز فى حضرة شريف، ولا تكن أول من يلوك بعضه، وإذا اســـترحت إلـــى مضـــغ الخبز الذى أتى عن طريق الغير فإن ذلك لا يغنيك "انظر إلى الوعاء الذى أمامك واجعله يكفى حاجتك.." .

الفصل الرابع والعشرين: الشخص الأمين

ويـــتحدث فى الفصل الرابع والعشرين عن الشخص الأمين فيقول: "لا تصـــغ إلى أجوبة شريف فى بيت، ثم تنشرها إلى آخر فى الخارج ولا تجعـــل كلامك يذاع فى الخارج، حتى لا يتألم قلبك. وقلب الرجل (ضميره) هـــو مـــنقار الإلـــه تحـــوت فاحذر أن تهمله. والرجل الذى يقف بجوار الشريف، يجب ألا يعرف اسمه حقاً".

الفصل الخامس والعشرين: احترام ذوى العاهات

وفـــى الفصـــل الخامس والعشرين نراه يخص على احترام ذوى العاهات وعدم السخرية منهم، فيقول:

"لا تسخر من أعمى، ولا تهزأ من قزم، ولا تعيب رجل أعرج، ولا تعبس فـــى وجوههم فإن الإنسان صنع من طين، والله هو مسويه (خالقه) وهو عزيـــز يهدم ويبنى كل يوم، ويخلق الألوف بأمره، أبعد الرجل الذى مات وهو أمين فى يد الإله".

الفصل السادس والعشرين: التعامل مع الكبير

ويـــتحدث الفصل السادس والعشرين عن الأصول الواجب إتباعها عـــند التعامل مع من هم أكبر مقاماً فى المجتمع، فيقول **"... لا تجلس فى بيـــت الجعة (الحانة)، وتخالط من هو أكبر منك مقاماً (وظيفة) مهما تكن صـــغيراً فى السن فإنه عظيم فى الرتبة أو أكبر فى السن، بل صادق من هو فى مرتبتك.. ولكن إذا رأيت رجلاً أعظم فى الخارج، وله أتباع وحشم يمشون من ورائه فقدم له الاحترام. مد يد المساعدة لرجل مسن إذا كان ثمـــل من الجعة واحترمه كما يحترمه أولاده، لأن الذراع القوى لا يرخى (؟) عندما يكشف، والظهر لا يكسر عندما ينحنئ والفقر لا يصيب الرجل الـــذى يقول الشئ السئ، ولا يأتى له الغنى عندما يكون قوله من الغش (القول الهراء)، والنوتى الذى يريد من بعد، قاربه لا يغرق".**

الفصل السابع والعشرين: احترام العجوز

ويتـــبع ذلـــك فى الفصل السابع والعشرين يخصه على الخضوع للمســـن فـــيقول: **"لا تسب رجلاً أكبر منك سناً، لأنه شاهد "رع" قلبك، ولا**

تجعلـــه يشـــكو إلى قرص الشمس عند شروقه قائلاً: "شاب آخر قد سب مسناً، فإنه مؤلم جداً أمام رع أن يسب شاب رجلاً مسناً، دعه يضربكَ فى صـــدرك دعــه يسبك وأنت ملازم السكون، فإذا حضرت أمامه فى اليوم التالى فإنه سيعطيك خبزاً لا حصر له....".

الفصل الثامن والعشرين: كرم الأخلاق

ويتحدث فى الفصل الثامن والعشرين عن كرم الأخلاق، فيذكر: "لا تسأل عن شخصية أرملة عندما تقبض عليها فى الحقل. بل تذرع بالصبر فى إجابتها... أن الله يحب سعادة المتواضع، أكثر من احترام الشريف".

الفصل التاسع والعشرين: عبور النهر

وفي الفصل التاسع والعشرين يتحدث عن عبور النهر، فيقول: "لا تمنع إنساناً من عبور النهر، عندما يكون فى قاربك مكان، وإذا أحضر لك محـــرك وكـــان فى وسط المياه العميقة، فإنك ستحنى يديك لتأخذه، ولن ينالك غضب من الله إذا لم يرحب بك البحار ولا تصنعن لنفسك معبراً على النهر ثم تجاهد بعد ذلك لتجمع أجره، خذ الأجر من الرجل صاحب الثروة، ورحب بمن لا يملك شيئاً...".

الفصل الثلاثون: الختام

والفصـــل الـــثلاثون هو ختام المقال، وفيه يقول الحكيم المصرى: "تـــأمل لنفســـك هذه الفصول الثلاثين، فإنها تمتع وتعلم، وهى تفوق كل الكتـــب فهـــى تعلـــم الجاهل وتطهر نفسه من الخبائث، فاملأ نفسك بها وضعها فى قلبك، لتكون رجلاً يعرف تفسيرها، وتكون مفسراً لها كمعلم،

فإن الكاتب المدرب فى مهنته يجد نفسه أهلاً لأن يكون من رجال البلاط. وهذه هى نهاية المقام. كتبه "سنو" بنى الكاهن "بهو".

ويتضح من الدراسة السابقة لبردية آمون – ام – أوبت أن صاحبها هـــو ابن لشخص يدعى "كانخت" وأن ابنه الذى كتب إليه هذه التعاليم كان يدعـــى "حور ماخر" ولقد حمل حور ماخر ألقاباً دينية كثيرة تربطه بمعبد الإلـــه "ميـــن" فى أخميم وكان المجال فسيحاً أمامه وكان يتحلى بالصلاح والـــرزانة اللـــتان كانتا من صفات والده. إلا أننا لا ندرى أأثمرت تعاليم والـــده، فخطا نحو مرتبة عليا فى الحكومة ــ لأن الغرض من هذه التعاليم كما جاء فيها يهدف إلى الرقى فى مراقى الوظائف. أم لم تثمر فبقى حيث كان؟؟

ويلاحـــظ من تعاليم آمون – ام – أوبت أنه ترك النصائح العادية، ومما يلفت النظر فيها تدين المؤلف واعتداله. ولقد ذكرنى فى بداية تعاليمه فـــى الفصل الأول منها الغرض الأساسى منها تأليفها فقال أن هذا الكتاب يحـــتوى علـــى بداية درس الحياة الإرشاد للخير وكل قواعد الانخراط بين كبار الموظفين وآداب معاملة رجال القصر وحتى يعرف كيف يجيب على كل سؤال يلقى.

ورغـــم أنـــه قد ذكر هذه التعاليم عدة آلهة مختلفة، فإننا إذا أمعننا النظر فيها نجد أن هناك قوة أخرى عظيمة خفية ورائها، وهى الإله العلى العظيم الذى لا إله غيره، فقد كانت فكرة وجود الإله فى نظره فى المستوى الـــذى رفعه أمامه لفهم الحياة. فالإله هو الذى يجب أن يكون مديراً لسكان ســـفينة الحياة وهو رب الأرزاق لذلك يجب على الإنسان ألا يخاف غيره، وأن الكمـــال للإله وحده، والإنسان هو المخطئ، والحساب ينتظر المخطئ

وأن محاولة الإنسان الوصول إلى الكمال ضرب من المحال. ومجمل القول أن الإلـــه هو القوى القهار، وأن الإنسان خلق ضعيفاً، والإله يبارك العمل ويحـــب الخـــير وكـــرم الضيافة ويمقت الملق والغش. وبعد الموت يكون الإنســـان فـــى يـــد الإله (ما أسعد الذى قد وصل الحرب (مات) وهو أمن مطمئـــن فـــى يدى الإله). ونقيض الرجل الرزين أو الحليم فى نظره، هو الـــرجل الأحمـــق، أى الحاد الطبع المندفع الغضوب. كما أنه قد سار على نهـــج غيره من الحكماء الذين سبقوه مثل "بتاح حتب" فقد حث على الناحية الإنســـانية العملية فى الحياة، فعندما يشير إلى واجبات الموظف يذكر أنه لابـــد أن يكون عادلاً مستقيماً رحيماً أميناً، متسامحاً مع الفقير، ومن ناحية قواعد السلوك الإنسانى خارج الأعمال الرسمية، فإنه يحض على ألا يختلط الإنســـان إلا بمن هو عليه شاكلته، وأن يتجنب محادثة العظماء ولا يتملق الأشـــراف، بل يجب أن يكون مستقلاً بنفسه عنهم، ومع ذلك يكون مؤدباً نحوهـــم، وكذلك يجب عليه ألا يتعالى عليهم ويجب أن يعاملهم كما يعامل الإنســـان من هو أسن منهم بالاحترام والأدب، وأن يكون لين الجانب مع المرأة الفقيرة، ويحسن ضيافة الغريب وأن يكون رحيماً بالأعمى والمقعد، وأن يهيئ أسباب الراحة لمن يريد أن يعبر النهر من ضفة إلى ضفة أخرى وألا يأخذ أجراً من عابر فقير.

ونظـــراً لما احتوته هذه البردية من تعاليم، فإنها تعد بحق مصدراً عظـــيماً للأمـــم المجاورة وبخاصة فلسطين، ونظراً لظهور جزء كبير من الأقـــوال المـــأثورة أمثالاً فى "**سفر الأمثال**" العبرى ووجود ما يشابهها فى تعالـــيم آمـــون – ام – أوبت من حيث الفكرة والأسلوب فقد اهتم العلماء بدراســـة هذا الموضوع فاتجه بعضهم إلى القول بأنه سفر الأمثال قد انتقل

عن تعاليم آمون –ام – أوبت بينما اتجه البعض الآخر إلى أن كل من سفر الأمثال وتعاليم آمون – ام – أوبت قد نقلا عن أصل قديم.

٦- النصائح والتحذيرات الموجهة إلى طلبة المدارس

كان الآباء فى مصر القديمة يشرفون على تربية أولادهم فى دور التنشـئة، ويعـنون عناية خاصة بأن يرسلوهم إلى المدرسة ليتعلموا، لأن التعلـيم عـندهم كـان هـو السبيل الذى يفتح أمامهم باب مناصب الدولة جمـيعها، ويحقـق لهم أسباب السعادة وسمو الشأن: ويصل بهم إلى أعلى المراتب.

وأقوالهم فى تقدير العلم والتعليم كثيرة كما رأينا فبينما يقولون فى موضع: "**أن الكاتب دون سواه هو الذى يدير أعمال جميع الناس، أما من يكره العلم فإن الحظ يتخلى عنه**". إذ يقولون فى موضع آخر عن الجاهل: "**أنـه لا يعـرف اسـمه أحد، ومثله مثل الحمار المثقل بما يحمله يسوقه الكاتب (أى الرجل المتعلم المثقف) ويوجهه**".

وكـان عـندهم الـرجل المحظوظ هو "**الذى وضع العلم فى قلبه وفضـله علـى كل عمل آخر**"، ولهذا فإن خير نصيحة كان يوجهها الأب لابـنه ــ كمـا قدمنا ــ هى أن "**يعمل ليصير كاتباً، لأنه بذلك يقود جميع الـناس**". ويكفـى لبيان تقديرهم للعلم وأهله قولهم عن مهنة الكاتب أنها: "**مهنة عظيمة إذ تجلب أدوات كتابته وملفات كتبه البهجة والثراء**".

مـن أجـل هذا، فإن هذه النصائح والتحذيرات الموجهة إلى طلبة المدارس يعتبرها كثير من علماء الآثار ــ بالرغم من قصرها وإيجازها ــ

مشوقة إلى حد كبير، لأنها تستثير الاهتمام بما تتضمنه من وصف للأحوال الاجتماعية فى العصر الذى كتبت فيه.

وهذه النصائح والتحذيرات التى نوردها فيما يلى من صفحات، قد وصلت إلينا ضمن مخطوطات التلاميذ المختلفة من عصر الأسرة التاسعة عشرة.

(١) الحياة فى المدرسة

"إنـــى أضعك فى المدرسة مع أولاد العظماء، لكى أربيك، وأعلمك هذه المهنة العظيمة.

انظر إنى أقص عليك كيف يكون حال الكاتب. تنبه فى مكانك، فإن الكتب قد وضعت أمام زملائك. ضع يدك على ملابسك، وانظر إلى نعالك، وعــندما تتســلم واجبك اليومى لا تكن خاملاً... واقرأ بهمة من الكتاب، وعندما تدير الحسبة فى رأسك فى صمت فلا تدع كلمة تسمع.

اكتب بيدك واقرأ بفمك، واطلب النصح ممن هم أنبه منك. لا تكن متوانــياً، ولا تقضـــى يوماً فى خمول حتى لا يستولى الغم والحزن على أعضائك، وتفهم طرق أستاذك، واتبع تعاليمه، وسأكون معك فى كل يوم".

(٢) كن مجتهداً

"أيهــا الكاتــب، لا تكن خاملاً، وإلا عوقبت بشدة، ولا توجه قلبك نحــو الملاهى وإلا هلكت. واكتب بيدك واقرأ بفمك واستشر من هم أكثر منك علماً.

اعمــل لوظــيفة الحاكم، حتى تصل إليها عندما تكبر فى السن. ما أسعد الكاتب الذى يمهر فى مهنته ويصير أستاذاً فى التربية.

ثابــر على عملك كل يوم، وبهذا تتملك ناصية الكتاب، ولا تقض يوماً فى خمول وإلا ضربت. أن أذن الصبى فوق ظهره وهو يسمع عندما يضرب. وجه قلبك نحو سماع كلماتى، فإنها ستعود عليك بالنفع.

إن حيوان "كارى" يتعلم الرقص، والخيل يكبح جماحها، والحدأة؟ توضــع فى عش، وجناحا الصقر يربطان. وثابر على طلب النصيحة، ولا تــتراخ فــى ذلــك، ولا تمــل الكتب. ووجه قلبك إلى سماع كلماتى فإنك ستجدها عظيمة الفائدة".

(٣) نصائح معلم إلى تلميذه

كتب معلم ونفسه مليئة بالأسف إلى تلميذه، وقد بلغه أنه يسير وراء نزواته، يقول:

"لقد بلغنى أنك أهملت دراستك (الكتب) وأنك تتسكع من طريق إلى طــريق وأن رائحة الجعة (تفوح من فمك) والجعة قد أبعدك الناس عنك وأنها قد ساقت روحك إلى الهلاك

أن مــثلك مثل المجدأف المحطم فى السفينة الذى لا يتجه إلى أية ناحــية إنــك مثل هيكل من غير إله ومثل بيت خبز فيه لقد قابلك الناس وأنــت تتسلق أحد الجدران وقد هشمت لوحا والناي يهربون منك وأنت تضربهم وتحدث بهم جراحا

ألا تعلــم أن الخمــر إثــم، فتقسم ألا تقربها وألا تسلم قلبك لإناء الخمــر وأن تنســى الشرب. لقد تسلمت الغناء على الأرغول واستعمال

المــزمار والعــزف علـــى الكـــنارة والشدو على العود. لقد تعودت على الجلــوس فـــى البيـــت، تحيط بك العذارى والغوانى وتقعد بينهن وتقوم. وتجلـــس أمـــام الغانية وترش بالعطور وتتدلى من جيدك (رقبتك) عقود الأزاهـــير وتطـــبل علـــى بطـــنك. ثم تترنح وتسقط على بطنك وتلطخك الأوساخ...".

(٤) وضع التلميذ فى القيود

"لقد بلغنى أنك تسير وراء نزواتك، ولا تتبع نصائحى، لأن الصمم قـــد اســـتولى علـــى عقلـــك. إن قدمك ستتعثر، وأنت تسير فى الطريق، وستضرب بسوط فرس النهر.

بـــيد أنـــى قد رأيت من أمثالك الكثيرين، ممن كانوا يجلسون فى المدرســـة ويقولـــون: "أن الكتب لا قيمة لها على الإطلاق، ومع ذلك فقد صـــاروا كـــتاباً، تذكر أسماؤهم ويكلفون بالمهام. ذلك بأنك إذا نظرت إلى عـــندما كنت صبياً مثلك، لوجدتنى أقضى وقتى والأغلال من حولى تربط أعضائى ولبثت كذلك ثلاثة شهور مسجوناً فى المعبد، على حين كان أبى وأمـــى وإخوتى فى الريف، وعندما رفعت الأغلال والقيود عنى، وأطلقت يدى تفوهت على زملائى فى العلم

فافعل ما قلت لك، فيصح جسدك وتصبح وتمسى ولا رئيس عليك".

(٥) تمجيد مهنة "الكتابة" وتفضيلها على سائر المهن

فـــى النصـــائح التالية يمجد الأب مهنة الكتابة والأدب، ويذكر ابنه بفضـــلها وخيرها وجلال قدرها، ويتناول المهن الأخرى فيبين له مساوئها

وشــرورها وهــوان شــأنها، وينتهى بترغيبه فى الكتابة والاشتغال بها، وينصحه بالبعد عن سائر المهن الأخرى.

(٦) لا تكن فلاحاً

"لقــد بلغنى أنك هجرت الكتابة، وانهمكت فى الملاهى، وصممت علــى العمــل فــى الحقل، وأدرت ظهرك لكلمات الإله. ألم تفكر فى حال الفــلاح عــندما يسجل المحصول. وامتلأت الحقول بالفيران، ونزلت فيها أرجــال الجــراد، والماشــية تلتهم ما فيها، والطيور تسرق منها، فويل للفلاح.

والــباقى الذى يوضع فى الجرن ينتظره اللصوص للإجهاز عليه، بعــد أن تكون الآلة المصنوعة من النحاس قد تحطمت، وزوج الخيل قد مــات عــند الحرث والدرس. وها هو الكاتب يرسو على الشاطئ ليسجل المحصــول ومعه العمال يحملون عصيا والزنوج الحراس يحملون جريد الــنخل ويقولون: "أحضر القمح"، "ولا قمح هناك"، وعندئذ يطرح الفلاح أرضــاً ويضــرب، ثم يكبل بالقيود ويلقى فى النهر، وتوثق امرأته كذلك أمامــه، ويوضع أولاده فى الأغلال، ويتركهم جيرانهم ويفرون، ليهتموا بأمر غلالهم.

(٧) لا تكن فارساً

"وطن نفسك على أن تكون كاتباً حتى تستطيع أن تدبر أمور العالم كله". تعال ودعنى أحدثك عن مهنة تعسة، هى مهنة ضابط العربات. إنه يوضــع فــى الاصــطبل بسبب أب والدته ومعه خمسة عبيد، منهم اثنان خصصا لمساعدته.

وهو يسرع ليحضر الجياد من الاصطبل فى حضرة الملك. وعندما يحصل على جياد طيبة يفرح وينشرح قلبه ويحضر بها إلى مدينته ويطأ أرضها بفخر، وهو سعيد بذلك، ولكنه لا يعرف مصيره. وهو ينفق ثروته التى ورثها عن أب أمه ليحصل على عربة، يكلفه عريشها ٣ دبن والعربة تكلفه ٥ دبن. وهو يلبس نعاله ويسرع فى ركوبها (أى العربة) وينطلق بها، ولكنه يضطر لتركها فى الغابة، ثم تدمى قدماه بالنعال وتخترق الأشواك قميصه فتمزقه. وعندما يجتمع الجنود فإنه يعذب عذاباً شديداً ، ويضرب على الأرض مائة جلدة".

(٨) لا تكن جندياً ولا كاهناً ولا خبازاً

"كن كاتباً فتعفى من السخرة، وتحمى نفسك من كل عمل (شاق)، فالكاتب يتخلص من العزق بالفأس، ويكون فى غنى عن حمل السلة. إن مهنة الكتابة تخلصك من تحريك المجداف، ولا تسبب لك هماً ولا نكداً، ولا يكون لك فيها رؤساء كثيرون. وأن الرجل إذا خرج من رحم أمه (أى ولد) فسرعان ما يعرض أمام رئيسه، فيصبح الولد تابعاً للجندى، والشاب كاتباً، والرجل المكتمل فلاحاً، ورجل المدينة سائساً، والأعرج بواباً، وقصير النظر طاعماً للماشية.

والكاهن يقف هناك كفلاح، والكاهن المطهر يعمل فى الترعة... ويبتل فى النهر، ولا فرق عنده بين الشتاء والصيف، سواء أمطرت السماء أم هبت الريح. والخباز يقف ويخبز ويضع الخبز على النار، ويمد رأسه داخل الفرن على حين يمسك ابنه بقدميه، فإذا حدث أن انزلق الخباز من يد ابنه فإنه يسقط فى اللهيب. ولكن الكاتب يدير كل عمل فى هذه البلاد".

(٩) كن موظفاً

"لا تـدع قلـبك يهتز كأوراق الشجر أمام الريح، ولا تجعل قلبك يـنهمك فـى الملاهى فإنها لا تفيد ولا خير فيها للإنسان. وعندما يشتغل المـرء (بيده) ويكون نصيبه أن يعمل فى مجلس الثلاثين فإنه يشتغل ولا يجـرؤ على النوم، لأن العمل الشاق يقوم من أمامه، ولا خادم يحضر له المـاء، ولا نسـاء يصـنعن له الخبز، على حين أن رفاقه يعيشون على حسب ما يبتغون، والخدم يعملون بدلاً منهم، ولكن الرجل الذى لا عقل له يقف هناك ويشقى، وعيناه تنظران فى حسد إليهم .

مـن أجل ذلك انظر أيها الشقى، أيها العنيد الذى لا يسمع عندما يسـاق النصـح إليه. أسرع إلى تلك المهنة بسرور، فإنها هى التى تدير مجالس الثلاثين ورجال الحاشية الملكية. وأنى أرجو أن تفطن لذلك".



الفصل الخامس

أولاً: أدب الأناشيد

ثانياً: أدب الغــزل

ثالثاً: أدب الرسائل

أولاً: أدب الأناشيـــد

لعب الدين دوراً كبيراً فى عقيدة المصريين القدماء، فقد وُجد كثيراً من الأناشيد التى كان المصريون يرددونها فى المناسبات الدينية المختلفة، وقد سجلت معظم هذه الأناشيد (الدينية) على بعض المقابر والأهرامات (نصوص الأهرام) بجانب ما سجل على التوابيت (نصوص التوابيت) وما سجل على البردى ووضع مع المتوفى (كتاب الموتى)، بجانب العديد من الأناشيد التى قيلت فى مدح المعبودات المختلفة، وعلى هذا يطلق على هذا النوع من تلك "الأناشيد الدينية" وسوف نذكر بعضاً منها مثل:

١- نشيد أوزيريس **٢- نشيد إله الشمس**

٣- نشيد النيل **٤- نشيد إخناتون**

١- نشيد أوزيريس

وردت فى نصوص الأهرام (من عصر الدولة القديمة) تعويذة أصبحت تردد دائماً فى ذكرى الإله أوزيريس حيث تقول:

"إن قلبك معك يا أوزيريس، وقدماك معك وذراعاك معك، وهكذا فإن قلب الملك معه، وقدماه معه، وذراعاه معه، وقد ضُرب له سلم (على الأرض) يصعد به إلى السماء، وهذا الملك يطير كطائر ثم يرفرف على العرش الخالى الذى فى سفينتك يا "رع" وأنك تصعد يا أوزيريس إلى السماء وتبعد نفسك عن الأرض".

وفى عصر الدولة الوسطى انتشرت أناشيد الإله أوزيريس الذى كانت عبادته منتشرة انتشاراً عظيماً أكثر من أى عبادة أخرى، فقد كان فى الأصل إله الزرع الذى يموت ويحيا مرة ثانية بمجئ الفيضان، ويعتبره عامة الناس مثل البشر، فقد كان أبوه الإله "جب" إله الأرض، وأمه الإلهة

"تـــوت" إلـــه السماء، وقد خلف أباه وأصبح ملكاً على مصر، وكان حكمه مـــتوجاً بالفلاح ومظفراً فى الحرب، وقد قتله أخوه "ست" وألقى بجثته فى الماء، فبحثت زوجته إيزيس عنه، وبعد أن عثرت عليه أحضرت جثته إلى الأرض، وبمســاعدة ســحرها عادت له الحياة مرة أخرى، ثم اجتمعت به فحملت منه ولداً هو "حورس" الذى دخل فى نزاع مع عمه ست فى أحقية أيهمـــا للعرش، وبعد فترة التقاضى، أصدرت الآلهة حكماً بأحقية حورس للعـــرش وأقروه ملكاً على مصر وخليفة لأبيه أوزيريس، ومنذ ذلك الحين أصبح أوزيريس فى العالم السفلى بصفته ملكاً للأموات، وابنه حورس ملكاً على الأرض بوصفه ملكاً للأحياء.

ومن الأناشيد التى قيلت لأوزيريس فى تلك الفترة ما يلى:

"يـــا أوزيـــريس، أنت رب الأبدية، وملك الآلهة، أنت يا صاحب الأسماء المتعددة، وصاحب الصور الظاهرة فى المعابد".

"أنت السيد الذى يذكره الناس فى "قاعة العدالة"، وروح رع (إله الشمس) وجسمه نفسه".

"أنت رب القصر العظيم، رب الأبدية، اسمه مخلد فى أفواه الناس، الروح الكاملة بين الأرواح (حاكم الموتى)"

ومـــن نفـــس العصـــر كانت توجد أناشيد دينية ترحب بالآلهة فى المعابد فى الصباح وتشتمل على النداءات التى كانت تتكرر دائماً مثل:

"**استيقظ فى سلام**" ويتبع تلك الدعوة فى كل مرة اسم مختلف للإله، وعلى ذلك كان المفروض أن الآلهة كانت تستيقظ فى السماء بهذه الطريقة نفسها وبوســـاطة إلهات أيضاً. وبهذه الأناشيد كانت النساء يوقظن الملوك بها فى

الصباح فى عصور مصر التاريخية، ويمكن أن نعرض ألفاظاً حلت محل أسماء الآلهة فى ذلك مثل :

"أنت يا ملك، أنت يا سيد مصر، أنت يا رب القصر"

وهـذا معروف حتى الآن فى الأغانى الشعبية فى القرى المصرية عندما تغنين الأمهات لأولادهن مطالبيهم بالاستيقاظ وعدم الكسل، ومن تلك الأغـانى الشعبية التى ما زالت تردد فى القرى هى: **"قوم يا ..(اسم الابن أو الابنة) قوم، قوم كفاية نوم، دى الشمس طلعت . والنوم خلاص ملوش لزوم".**

٢- نشيد إله الشمس

ومن أمثلة الأناشيد الدينية التى قيلت فى تمجيد إله الشمس:

"اسـتيقظ بسلام، أنت يأيها الواحد المطهر فى سلام، استيقظ بسلام، أنت يـا حورس الشرقى فى سلام، استيقظ بسلام، أنت يأيها الروح الشرقى، فـى سـلام، اسـتيقظ بسلام، أنت يا حور أختى، فى سلام، إنك تنام فى سـفينة اللـيل، وتستيقظ فى سفينة الصباح، لأنك أنت الذى تشرق على الآلهة ولا إله يشرق عليك".

٣- نشيد النيل

ومـن الأناشـيد الدينية التى كانت تتلى **"نشيد النيل" (حعبى)** الذى كان معبوداً للمصريين ولكنه لم تكن له معابد خاصة أو كهنة يقومون على خدمته كباقى الآلهة، ولهذا لم يكن هذا النشيد يردد فى مناسبات خاصة مثل أناشيد الآلهة الأخرى، وإنما هو تعداد لأفضاله على مصر وتمجيداً له، وقد

وضع نشيد النيل لينشد فى أحد الاحتفالات بالفيضان، فقد كان النيل بالنسبة للمصـــرى القديم كل شئ فى حياته فبجانب أنه مصدر المياه الدائم له، فقد علمـــه الزراعة وبناء السدود لمواجهة الفيضان، وعلمه الاستقرار وعلمه صـــناعة الســفن وركوب المياه وساعده على وحدة البلاد من جنوبها إلى شمالها وساعده على الاستقرار، لهذا لم يكن غريباً أن يردد المصرى نشيد النيل فى سعادة قائلاً:

"الحمــد لله يا نيل، يا من تخرج من الأرض وتأتى لتغذى مصر، أنه هو الـــذى يــروى المراعى، وهو المخلوق من رع ليغذى كل الماشية، وهو الذى يسقى البلاد الصحراوية البعيدة من الماء، فإن ماءه هو الذى يسقط من السماء".

"أنـــت يا نيل، رب الأسماك، وجعلت طيور الماء تطير نحو الجنوب، أنت الـــذى تصـــنع الشـــعير وتخلـــق القمـــح وبذلك تتمكن المعابد من إقامة احتفالاتها"

"إذا تأخـــرت تنشـــد الخياشـــيم، ويفتقر كلُ الناس، وتنقص أقوات الآلهة ويهلك ملايين الناس"

"عندما تفيض تصبح البلاد فى فرحة، وكلِ إنسان فى سرور ويبدأ كل فم يضحك"

"إنك الذى تأتى بالقوت وتكثر الطعام وتجعل كل شئ طيباً، ويمدحك الناس وأنت الذى تملأ المخازن وتزيد الغلال فى الصوامع وتعطى الفقراء".

وهكذا يستمر نشيد النيل فى ذكر صفاته وخصائصه والتى لولاها لأصبحت مصر جرداء فحماها الله بهذا النيل العظيم.

٤- نشيد إخناتون

اتجــه إخناتون (أمنحوتب الرابع) من ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلـــى عباده الإله "آتون" وهو القوة الكامنة فى قرص الشمس وترك عبادة الإلـــه آمون رع إله الدولة الرسمى فى تلك الفترة، بل وأمر بإغلاق معابد الآلهة، وهجر عاصمة البلاد طيبة (الأقصر) واتجه إلى عاصمة جديدة تم بـــنائها لـــم تستعمل من قبل وموقعها فى محافظة المنيا أطلق عليها "أخت آتـــون" بمعـــنى "أفـــق أتـــون" وأهمل إخناتون السياسة الخارجية للبلاد، وانصرف إلى الدعوة للإله آتون وكتب له الأناشيد الجميلة التى أورد فيها الآراء الجديـــدة حيـــث كانـــت دعوة إخناتون للإله آتون دعوة تشبه دعوة التوحـــيد حـــتى أن بعض الباحثين ذكر أنها أى دعوة إخناتون هى الأصل الـــذى نقلَ عنه جزء من المزمور رقم ١٠٤ من مزامير سيدنا داوود فى الـــتوراة، وســـوف نعرض بعضاً منْ نشيد إخناتون الكبير (له نشيد آخر صغير) كالتالى:

"أنت تطلع ببهاء فى أفق السماء"

"عـــندما تضـــئ كآتون أثناء النهار، تطرد الظلمة وتمنح أشعتك ويستيقظ الـــناس ويقفـــون على الأقدام لأنك أنت الذى أيقظتهم، يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم، ويرفعون أذرعهم ابتهالاً عند ظهورك، والناس جميعاً يـــؤدون أعمـــالهم، وتقـــنع كـــل الحيوانات بمراعيها، وتزدهر الأشجار والنباتات، والطيور التى تطير من أعشاشها تنشر أجنحتها لتمدح قوتك، أنهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم"

"إنك أنت الذى يجعل سائل الذكر ينمو فى المرأة، وأنت الذى يعنى بالطفل فـــى بطن أمه، وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاءه، لأنك تعنى به وهو فى الجسد، وتعطى له الهواء ليتنفس، وأنه ينزل من الجسد فيتنفس فى يوم مولده، أنت يا من تفتح فمه، وتخلق له مقومات الحياة"

"أنـــت يـــا من جعل الكتكوت يصرخ وهو داخل البيضة، أنت يا من تمده بالـــنفس فـــى داخلها ليعيش، وعندما يتم خلقه داخلها، تجعله يكسرها، ويخرج منها وهو يصيح، ويمشى على رجليه"

"ما أعظم أعمالك التى صنعتها، إنها خافية على الناس، أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له، لقد خلقت الدنيا كما شئت، عندما كنت وحدك، تضع كل شـــئ فـــى مكانه، إنك أنت الذى يمدهم بما يحتاجونه، يحصل كل شخص علـــى طعامـــه وســـنوات حياته مقدرة له، يختلف الناس فى لغاتهم كما يختلفون فى طبائعهم وألوانهم، خلقت البشر والأنعام وكل ما يسعى على الأرض بقدم ويطير فى السماء بجناح، ووجهت كل فرد إلى بلده، ودبرت للجمـــيع شئونهم، فأصبح لكل فرد رزقه، وتعين لكل فرد أجله أنت الذى ميزت بين بلاد وبلاد"

هـــذه بعضاً من نشيد إخناتون الكبير الذى فى مضمونه يعبر عن دعواه إلى عبادة الإله آتون فيذكر صفاته الكثيرة التى لا تنتهى.

وقد اشتملت أناشيد إخناتون على الكثير من الأهداف التى نادى بها وهـــى الدعـــوة إلى التوحيد (عبادة الإله آتون ونبذ عباده الآلهة الأخرى) والدعوة للقضاء على التفرقة بين البشر، بين الغنى والفقير، والتركيز على قـــدرة الخـــالق، وإظهار الرحمة فى صفات الإله الخالق (آتون)، والدعوة والحث على الصدق، وإظهار فضل النيل على مصر والعالم، والدعوة إلى

إخـــراج الديـــن إلى العلانية ولا يكون قاصراً على الملك أو قاصراً على مصـــر فقـــط، لهذا ظلت أناشيد إخناتون تردد فى زمانه بين أتباعه وأتباع الديانـــة الجديدة، ولكن بعد وفاته ارتد الناس معتنقى هذه الديانة إلى ديانة الأجـــداد، بل قام الناس بهدم مدينة إخناتون وتحطيم معابد الإله آتون التى اعتبروها معابد فترة عدم الإيمان.

ثانياً: أدب الغـــــزل

عـــرف المصريون القدماء أدب الغزل الذى تمثل فى أغانى الحب الـــتى يتغزل فيها الحبيب بمحبوبته غزلاً، ساذجاً مرسلاً، ولدينا مجموعة كاملـــة من قصائد الحب نلمس فيها حباً تشع فيه العفة والحنان، وأكثر تلك الأغانى بين فتى وفتاة، وأغلب الظن أن هذه القصائد كانت أغنيات يغنيها رجل وهو يضرب على إحدى الآلات الموسيقية (مثل الغناء الآن)، ثم ترد علـــيه حبيبـــته وقـــد أخـــذا يتناجيان وهى تقول له "يا أخى" وهو يناديها "يا أختى..."، ويذكر كل منهما للآخر ما يحمله قلبه من شوق ولوعة حتى يحين موعد الزواج.

كان أدب الغزل (شعر الغزل) عند المصرى القديم يستلزم قوة فى المعـــنى وجمـــالاً فى الأسلوب وصدقاً فى التعبير حتى يؤثر فى عواطف السامعين ويشجيهم عندما يسمعونه غناءً من المغنين والجوارى. ويوجد لنا مـــن الأغانى ثلاث مجموعات هامة سجلت على البردى منذ عصر الدولة الحديـــثة بجانب العديد والعديد التى سُجلت على الأوستراكا (قطع الفخار) ونعرض بعضاً من هذه الأغانى منها ما تتحدث فيها الفتاة التى وقعت فى الحب عن الطائر والشبكة والطعام والعطر وصيحات الطير... قائلة:

"حبيبى قلبى يتمنى حبك،
وكل ما تفكر فيه هو لك،
انظر ماذا فعلت، جئت اصطاد بشرك فى يدى
وأول طائر يهبط يأكل طعامى
وأظافره فيها عبير
لكم أود أن نطلقها معاً
وحيدة أنا بجوارك

كم يحلو لى أن تكون معى وأنا أنصب الشباك
فما أطيب الذهاب إلى الحدائق مع المحبوب
سأسحب شباكى وأعود، ولكى ماذا أقوال لأمى
وكل مساء أعود إليها محملة بالطيور
لسوف تقول لى: ماذا، ألم تنصبى اليوم أى شباك؟
أم أدار حبك رأسى
الأوز البرى يطير ويهبط جميعاً
وها هى الطيور ولكنها لا تهمنى
فلدى حبك، لى أنا وحدى
وقلبى يوافق قلبك ولن أبعد عن جمالك
يا حبيبى يتوقف قلبى فى الكعك اللذيذ أمامى
ولكن طعمه كالملح فى فمى
الشراب الذى كان حلواً، له الآن طعم المرارة
عبير أنفاسك، هو ما يحيى قلبى
يا أجمل كل الناس، كم أود أن أشاركك بيتك
زوجة لك، كى تضع على ذراعى ذراعك
ولكنك أدرت عنى حبك"

وهنا كشفت الفتاة عن مكنون سرها فعبرت على أنها تحب حبيبها وتتجه بحبها كله إلى غاية واحدة، هى أن تصبح زوجة له يستند إلى ذراعها كما تستند هى إلى ذراعه، وهذا يدل على أن حب الفتاة ليس حب فسق وفجور، وإنما هو حب يبدأ طاهراً شريفاً وينتهى طاهراً شريفاً، ثم

تستكمل الفتاة قصيدتها بأنها ترفض أن تستسلم لليأس وتهون على قلبها بأن حبيبها بعيد عنها ليلة ثم يعود، وفى ذلك تقول:

"أقول لقلبى بداخلى،
غاب عنى حبيبى هذه الليلة
وأصبحت كمن فى القبر
لأنك أنت الصحة والحياة
ألا تأتى إلىّ ومعك الفرح، ألا تهمك صحة قلبى
أظل على باب دارى أنظر، هل يأت حبيبى إلىّ؟
عيناى على الطريق وأذناى تسمع
حب حبيبى لى هو همى الوحيد
وقلبى معه لا يسكن
ها هو يبعث لى رسولاً
يجئ ويمضى ليقول أصابنى مكروه
قل إنك وجدت حبيبة أخرى
لماذا تجعل قلب امرأة أخرى يتألم وأموت أنا
ويسترجع قلبى حبك، وبنصف شعرى مصفف
أسرع لأبحث عنك ولا يهمنى تصفيف شعرى
وسوف أصففه إن كنت ما تزال حياً
حتى أكون على استعداد لك فى أى وقت"

هذا ما شعرت به الفتاة تجاه حبيبها وأفاضت به فى شعرها، ولكن ماذا كان يقول الفتى المحب وهو يناجى حبيبته التى تعرض عنه، وقد أخذ يفكر فى طريقة لعله يظفر برؤيتها قائلاً:

"سأرقد فى سريرى متمارضاً
فيعودنى جيرانى
وتعودنى اختى (حبيبتى) معهم
وتضحك حبيبتى من أطبائى
لأنها تعرف حقيقة مرضى"

ومن الشائع فى الشعر العربى أيضاً مرض الحب، وأن الأطباء لا يعرفونه ولا يفلحون فى مداواته، وإنما الحبيبة هى التى تعرفه وتستطيع أن تداويه، ففى ذلك قال قيس بن ذريح:

عيد قيس من حب لبنى ولبنى	داء قيس والحب داء شديد
وإذا عادنى العوائد يوماً	قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودنى ثم أقضى	إنها لا تعود فيمن يعود

ثم يستمر الشاعر المصرى (الفتى) فيقول إنه إذا لم ينجح فى حيلته تلك فسوف يحتال ليدخل على حبيبته مع زوارها، ثم كأنه لا ينجح فى هذا أيضاً فيقول:

"دار أختى
ليتنى أكون على بابها
فإن أغضب ذلك أختى
فإنى على الأقل سأسمع صوتها الغاضب
وسأكون أمامها كالطفل يرتعد خوفاً"

ونرى هنا أن الفتى الحبيب يتمنى أن يكون على باب دار حبيبته وهو يتوقع غضبها، وأن تصيح فى وجهه، وقد تطرده، ولكنه مع ذلك

يســـره أن يسمع صوتها وأن يقف أمامها كما يقف الطفل الذى يهدده أهله بالضـــرب، ولكنه لم يكتف بذلك، بل عاد يتمنى الأكثر وهو سماع صوت حبيبته وفى ذلك يقول:

"ولكن يا رب لماذا لم تجعلنى خادمتها السوداء،
تلك التى تقيم معها
فإنى إذن كنت سوف أمتع عينى برؤيتها ورؤية جسمها"

وتوجد قصيدة غزلية أخرى يتغزل فيها الفتى بفتاة فيقول:

"حبيبتى درة فريدة لا مثيل لها فى حسنها
هى أكثر جمالاً من كل النساء
إنها كنجمة الزهراء فى مطلع العام السعيد
ضياؤها ساطع وبشرتها وضاءة
جميلة العينين، جميلة الثديين، شعرها أسود فاحم
ذراعاها أبدع من الذهب
أصابعها مثل براعم اللوتس
ثقيلة الأرداف، نحيلة الخصر
تخبر ساقاها عن جمالها
ما أجمل هيئتها عندما تسير
سلبت قلبى مع قبلتها
أنها تجعل أعناق الرجال تنثنى
مستديرة نحوها عند رؤيتها
ما أسعد من يقبل فمها، إنه يصبح أقوى من غيره"

وتلك أغنية يتناجى فيها الفتى والفتاة حيث تقول الفتاة له "يـــا أخى" وهـــو يناجيها "يا أختى"، ويبث كل منهما الآخر ما فى نفسه من شوق وما يلاقـــيه مـــن لوعة حتى يحين وقت الزواج وقد ورد فى تلك الأغنية على لسان الفتاة:

"أخى: إنه لجميل أن أذهب إلى البحيرة لأستحم أمامك

حتى ترى مفاتنى فى ثوبى الكتانى الجميل

وهو مبتل ملتصق بجسدى

أنزل معك إلى الماء

ثم أعود إليك بسمكة حمراء

وقد استقرت جميلة بين أصابعى

تعال وانظر إلى"

ويرى الفتى قائلاً:

"هناك على الشاطئ الآخر حُب أختى (حبيبتى)

وبينى وبينها الماء، وتمساح على الشاطئ الآخر

ولكنى حين أنزل، فإن قلبى تملؤه الشجاعة

وإذا الماء كأنه أرض لقدمى ؛

فحبها يقوينى، هى تعويذة سحر لى فى الماء"

ثم يستطرد الفتى قائلاً:

"عندما أرى حبيبتى قادمة

تنفتح ذراعى لاحتضانها

ويفرح قلبى فى مكانه مثل ...

عندما تأتى سيدتى إلىّ
وعندما أعانقها وتفتح لى ذراعيها
أحس كأننى فى بونت محاطاً بالعطور
وعندما أقبلها وتنفرج شفتاها
أتمايل بلا شراب
ليتنى كنت جارية بين يديها، حتى أرى لون جسدها كله
ليتنى كنت غاسل ثيابها، لأغسل العطر الذى فى ثيابها
ليتنى كنت خاتماً فى إصبعها"

وهذه قصيدة أخرى بين فتى وفتاة يتناجيان ويظهر كل منهما حالة فى البعد عن صاحبه فيقول الفتى:

"سبعة أيام حتى أمسى لم أرى فيها أختى (حبيبتى)
تملكنى الداء وثقلت أطرافى، وصرت أنسى نفسى،
جاء الأطباء يداووننى فلم تفد أدويتهم،
وجاء السحرة فلم يفعلوا شيئاً،
إن ما يحينى هو أن يقولوا لى: إنها هنا فاسمها هو دوائى،
إن رسولها يأتى ويذهب، لينعش قلبى
أختى أنفع لى من كل علاج، إنها أنفع لى من كل دواء
إن حضورها لى هو تعويذة
لو نظرت لى أخضر جسمى واشتد ساعدى
حديثها يقوينى وحضنها ينعشنى
ولكنها مضت منذ سبعة أيام"

وتقول الفتاة فى ذلك:

"ما أسرع دقات قلبى حينما أفكر فى حبك،
إن حبك غيرنى، أصبحت أختلف عن الفتيات،
فقد صرت لا أعرف كيف ألبس ثيابى
ولا كيف أنظم مراوحى
ولا كيف أضع الكحل فى عينى
ولا كيف أعطر جسمى بالعطور"

فنرى هنا أن الحبيبة صارت لا تعرف كيف تلبس ثيابها، ولا كيف تنظم مراوحها، ولا كيف تتكحل، ولا كيف تتعطر، وهى الفتاة التى طبعت على العفاف والحياء، فنراها تخاطب قلبها قائلة:

"ألا فاسكن يا قلبى ولا تضطرب،
لئلا يقول الناس إننى جننت حباً،
تمالك نفسك يا قلبى كلما فكرت فيه
واهدأ ولا تدق"

هذه الفتاة لديها حياء جعلها لا تبوح بما فى داخلها صراحة، ولكن هناك فتيات أخريات لم يكن مثلها فى القدرة على كتمان حبهن، فهذه إحداهن تقول:

"مررت بداره (دار الحبيب)، فوجدت بابها مفتوحاً،
ورأيت أخى بجانب أمه، بين أخوته وأخواته،
كل من مر فى الطريق، ورأى هذا الشاب الجميل،
أحبه لأنه ليس له نظير

لمّا مررت نظرت عينه إلىّ

فكاد قلبى يطير من الفرح

لو أن أمى عرفت، ما فى قلبى لدخلت"

وتذكـر الفـتاة هنا أن أمها كانت معها حينما مرت بدار حبيبها، وتذكـر أن أمها لو كانت عرفت ما فى قلبها لدخلت بها، ولكنها لم تعرف فلم تدخل، ولكن الفتاة تتجه إلى إله الحب (حتحور) تقول لها:

"إليك يا ذهبية (حتحور- إلهة الحب)،

رسالة منى فاحمليها إليه،

قولى له إننى سأذهب إليه،

وسأعانقه أمام زملائه،

ولن أخجل من ذلك أمام أحد

بل سأفرح إذا سمعت الناس،

يقولون إنك تعرفنى،

لو أن إلهتى (حتحور) هيأت لى،

أن أراك اليوم لأقمت عيداً"

وبعد هذا العرض البسيط لبعض من شعر الغزل سواء من الفتى أو الفـتاة نـرى أن أدب الغزل كان يعبر عن الإحساس والشوق بين المحبين ويظهر لنا المجتمع المصرى القديم والحياة اليومية التى كان يحياها الفرد، فقد كان أهل الطبقات العليا ينامون على أسرة ذات أغطية ووسائد محشوة بالـريش تشـبه أغطيتـنا ووسائدنا فى هذا العصر، وكانت الغرف تُضاء بمصابيح، وكان النساء يضعن الدهان الأحمر فى شفاههن وخدودهن، وكن يتكحلن بالكحل الأسود.

وأخـــيراً فقـــد أعطـــى أدب الغزل عند المصريين القدماء صورة لحضارة مصر القديمة وعادات المجتمع وأبرزت أن حياة المصرى القديم لـــم تكن كلها حياة دينية جنائزية، ولكن بجانب اهتمامه بعقيدته بالحياة من جديد والعالم الآخر، إلا أنه كان يعيش ويتمتع بمباهج الحياة من حوله وهذا شأن الإنسان فى كل زمان ومكان.

ثالثاً: أدب الرسائل

أجــاد المصرى القديم فى كتابة الرسائل سواء الرسائل الحكومية الــتى ترســلها أم تتلقاها الدواوين الحكومية فى داخل البلاد وخارجها، أو الرســائل الشخصية بين الأشخاص وبين المعلمين وتلاميذهم أم بين الآباء وأبنائهم.

وأقــدم مــثال لتلك الرسائل يرجع إلى عصر الدولة القديمة، ولكن ظهرت أنواع عديدة من الرسائل فى عصر الدولة الحديثة. ومن دراسة تلك الرســائل وُجــد أن لكل عصر أسلوب خاص بها، بجانب أن هذه الرسائل كانــت تتأثر بسابقتها، ويظهر ذلك بوضوح فى رسائل الدولة الحديثة التى ورثت كثيراً من خصائص رسائل الدولة الوسطى.

وقد سُجلت الرسائل على البردى أو على قطع الخزف، وأنواع هذه الرسائل ثلاث هى:

(١) رسائل شخصية حقيقية.

(٢) مراسلات تعليمية يرجع أصلها إلى خطابات حقيقية كان الغرض منها أنها تستخدم نماذج للتعليم.

(٣) خطابــات نموذجية كان التلميذ يتمرن عليها أو مسودات لرسائل حقيقية.

وقد تكونت الرسالة الحقيقية من عناصر عدة هى:

(١) الصيغة الافتتاحية وتشمل اسم المرسل ثم اسم المرسل إليه.

(٢) الديباجة وأحياناً وتكون طويلة مملة.

(٣) موضوع الخطاب.

(٤) الصيغة الختامية.

(٥) عنوان الرسالة.

إن الصـــيغة الافتتاحية التى كانت تكتب بها الرسالة كانت تختلف فى تركيبها باختلاف منزلة المتراسلين ومادة الرسالة التى يكتبون فيها، وأحياناً كـــان اســـم المرسل يسبق اسم المرسل إليه إلا فى حالات قليلة تغير هذا الترتيـــب، وقد كانت الصيغة التى كانت سائدة هى "فلان يكتب إلى فلان" وأهم الصيغ الافتتاحية التى عثر عليها كانت كالتالى:

"المرسل فلان يقول"

"أمر ملكى إلى "

"مرسوم ملكى إلى"

"المرسل فلان يقول إلى المرسل إليه (داعياً له) بالسعادة والصحة"

"المرسل فلان يكتب إلى فلان المرسل إليه"

"المرسل فلان يقول حينما يسأل عن حالة فلان المرسل إليه"

"فلان إلى فلان"

وأحـــياناً كـــان يضاف إلى ذلك عبارات مثل **"لأجعل القلب سعيداً"**، أو **"لـــتكون مســـروراً"**، وكانت مثل هذه العبارات توضع تمهيداً للدخول فى موضوع الخطاب وكانت تشعر بأن ما يأتى بعدها سوف يكون خبراً ساراً، ولكـــنها أصبحت فيما بعد عبارة ثابتة فى الخطابات حتى أسئ استعمالها، ففـــى بعض الخطابات ورد بعدها خبر سئ مما يدل على أنها فقدت معناها الأصلى.

وبعـــد الصيغة الافتتاحية كانت تأتى الديباجة التى كانت توضع بعدها وقـــبل موضوع الخطاب، وتنقسم الديباجة إلى قسمين: **أولهما** عبارة يذكر فـــيها أسماء الآلهة الذين يتضرع إليهم ليرعوا المرسل إليه، **وثانيهما** يذكر فيه الإحسان الذى يلتمس منهم.

والآلهـــة التى كان يتضرع إليها تتوقف على المكان الذى أرسلت منه الرسالة، إذ جرت العادة أن التضرعات توجه إلى الآلهة المحلية.

كذلـــك نلحـــظ أن البركات والنعم التى كان يلتمسها المرسل من الإله للمرسل إليه فى الديباجة كان يعبر عنها بصيغ مختلفة، ففى الدولة الحديثة كان المرسل يتمنى لمن يرسل إليه:

"أن يكـــون فى خير، وأن يعيش، وأن يسعد، وأن يعود إليه الشباب وأن يكون فى رعاية الإله"

وكذلـــك تذكر تمنيات من جانب المرسل ي تمنى تحقيقها للمرسل إليه مثل: **"أتمنى أن أراك بخير، وأن أضمك إلى صدرى"**.

كذلـــك جاءت بعض الديباجات بصيغة التمنى من المرسل إلى المرسل إليه قائلاً: **"أرجو لك الحياة، السعادة، الصحة، رعاية الإله، أو الرئيس، أو حياة طويلة أو عمراً طويلاً مباركاً"**

وفى الرسائل الحربية كانت الديباجة يعبر عنها كالآتى:

"أتمنى أن يحفظ الملك سيدنا"

وجـــاءت الصيغة الختامية فى الخطابات مختلفة بحسب نوع موضوع الخطابـــات، ففـــى بعض الخطابات من الدولة القديمة وجدنا هذه الصيغة الختامية: **"أتمنى أن يكون ما تسمعه حسناً"**.

وفى خطابات أخرى نجد تلك الخاتمة التى استعملت:

"أتمنى أن يكون ما تسمعه ضاراً وطاعوناً".

وكانــت الرسالة تؤرخ، وكان هذا التاريخ يكتب فى أول الرسالة، وأحـيانًا كان يوضع على ظاهر الرسالة عند نهاية العنوان، غير أنه كان يسـبق اسم المرسل إليه. وسوف نعرض نموذج لهذه الرسائل وهو خطاب تهنئة للمعلمين والرؤساء جاء فيه:

(إلــى المدرس): "لقد ربيتنى صغيراً حينما كنت معك، وقد ضربت ظهرى ولذلــك دخل تعليمك أذنى، وإنى كالجواد الشارد فلا يأتى النوم نهاراً إلى قلــبى، ولا يــأخذنى ليلاً لأنى أريد أن أكون مفيداً لسيدى كالخادم النافع لصاحبه".

فى هذه الرسالة نجد اعترافاً بمنزلة المعلم وتقديراً له يظهران من هــذه الآمــال الــتى يرجوها الكاتب له، وظهور هذه العاطفة فى مثل هذا العصــر القديــم يــدل علــى ما عند أصحابها من عقل سليم وتقدير للعلم والمعلم: وهذا طالب آخر يكتب لمعلمه قائلاً:

(إلــى المــدرس): "ليت آمون يمنحك السرور فى قلبك وليته يهبك عمراً طويلاً حسناً حتى تعيش عيشة سعيدة، وحتى تبلغ العلا، وتكون شفتك فى صحة، وأعضاؤك نامية، وعينك تبصر على بعد، وترتدى الكتان، وتركب الجـياد، والعبـيد تجـرى أمامك، وتنفذ كل ما تريد أن تفعله، وتنزل فى سفينتك المصنوعة من خشب الأرز والمجهزة بالمجاديف من المقدمة إلى المؤخرة وتصل إلى قصرك الجميل الذى قد بنيته لنفسك...."

ولقــد حظى الموظف أيضاً بشئ من التقدير يقارب إلى حد ما ما ناله المعلم، فجاء ذكره فى رسالة موجهة إليه:

(إلــى الموظف) "إنك تعيش وتفلح وتصح، إنك لست تعساً ولا تعانى أى بــؤس... أنــت تخلــد كالساعات، وتبقى نصيحتك مدى عمرك، وكلامك ممــتاز، وعينك ترى كل جميل، وأنت تسمع كل لذيذ.. أنت الراعى الذى وهــبه الإله، وتهتم بالكثيرين فتمد يدك للبائسين، وترفع من سقط، وإنك تخلد، أما عدوك فقد فنى، ولقد هلك من أساء إليك، إنك تدخل أمام الآلهة وتخرج مظفراً".

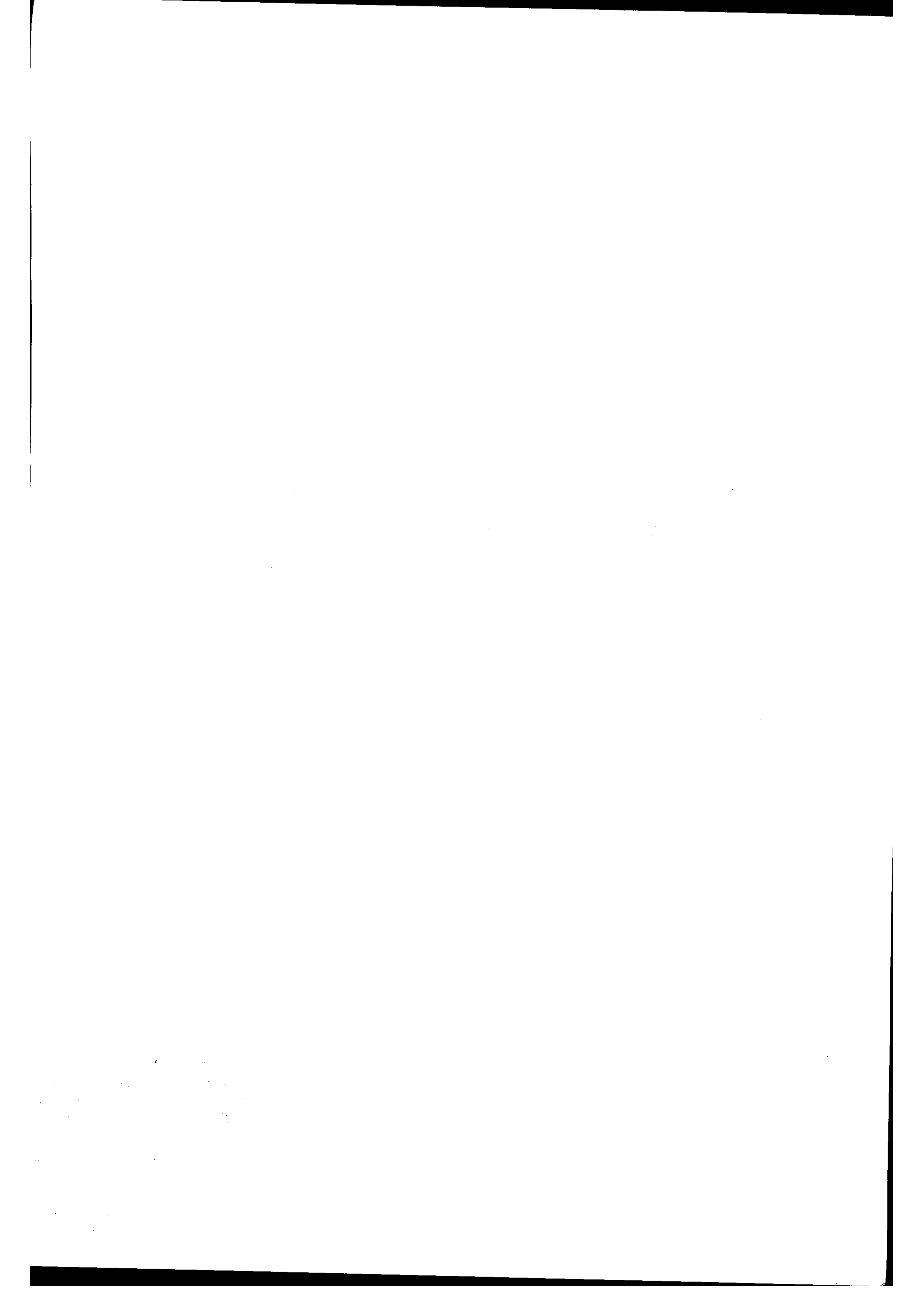
مــن هنا نرى أن الرسائل المصرية القديمة استخدمت نفس أسلوب الرســائل الــتى تكتب فى هذا العصر من أسلوب التمنى والدعاء بالصحة والعافــية للمرسل إليه، مع ملاحظة أن المصرى القديم كان كثيراً ما يكرر العبارة الواحدة أكثر من مرة ضمن الخطاب الواحد مما يؤكد على ما يريده للمرســل إلــيه، وهذه من الموروثات التىَ ورثها المصرى المعاصر عن أجداده حيث يكثر الكلام والعبارات فى موضوع واحد.

وفــى النهاية فهذا جزء يسير من الأدب المصرى القديم فى معظم فروعه لتى برع فيها الإنسان المصرى فى عصوره المختلفة وإن كان هذا الأدب قــد تنوع من خلال الدارسين له والذين حاولوا الغوص فى أعماقه، مــا هو إلا دليلُ على ثراء الحضارة المصرية القديمة فى كل جوانبها، فلم تقتصــر تلــك الحضــارة علــى الجانب المعمارى الذى تمثل فى العمارة الضــخمة مثل الأهرامات والمعابد بجانب المقابر والمبانى، أو فى الفنون الــتى تمثلــت فــى النحــت والرسم والنقش ولكن تعدتها إلى كل مظاهر الحضــارة ومــنها بالطــبع الأدب الذى هو مرآة المجتمع ومنه تم دراسة

جوانـــب الحـــياة فـــى مصــــر القديمة سواء الجوانب السياسية والجوانب الاقتصادية والجوانب الاجتماعية بجانب الجوانب الدينية، كل هذا تمثل فى الأنواع المختلفة للأدب المصرى الذى عُد من أغنى الآداب فى العالم القديم لما يضمه من تراث كبير فى كل المجالات.

****

المراجع المختارة



أولاً: المراجع العربية:

- أحمد أمين سليم : دراسات فى حضارة الشرق الأدنى القديم، حضارة مصر القديمة، الإسكندرية، ١٩٩١.
- أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٧٤.
- أحمد فخرى : الأدب المصرى القديم، تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعونى، القاهرة، ١٩٦٢.
- سليم حسن : الأدب المصرى القديم، جزءان، القاهرة، ١٩٩٠.
- سيد توفيق : معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، القاهرة، ١٩٨٤.
- عبد الحليم نور الدين : آثار وحضارة مصر القديمة، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٢.
- عبد الحميد زايد : مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦.
- عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٦.
- ------------ : الأسرة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨.
- عبد المنعم أبو بكر : أساطير مصرية، القاهرة، ١٩٥٤.
- عبد المنعم عبد الحليم سيد : حضارة مصر الفرعونية، القادرة، ١٩٧٨.
- محرم كمال : الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، القاهرة، ١٩٦٢.
- محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة، الجزء الأول، الإسكندرية، ١٩٨٩.

-محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفرعونية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

- نجيب ميخائيل إبراهيم : الحضارة المصرية القديمة، الإسكندرية، ١٩٦٦.

ثانياً: المراجع المعربة:

-أدولف إرمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة، ١٩٥٣.

-جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى، ترجمة على حافظ، القاهرة د.ت

-جون ويلسون : الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٦.

-جيمس هنرى برستد : فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، القاهرة، ١٩٥٦.

-فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية، ترجمة ماهر جويجاتى، القاهرة، ١٩٩٨.

-كلير لالويت : الأدب المصرى القديم، ترجمة ماهر جويجاتى، مراجعة طاهر عبد الكريم، القاهرة، ١٩٩٣.

---------- : نصوص مقدسة ونصوص دينية من مصر القديمة، مجلدان، ترجمة ماهر جويجاتى، القاهرة،١٩٩٦.

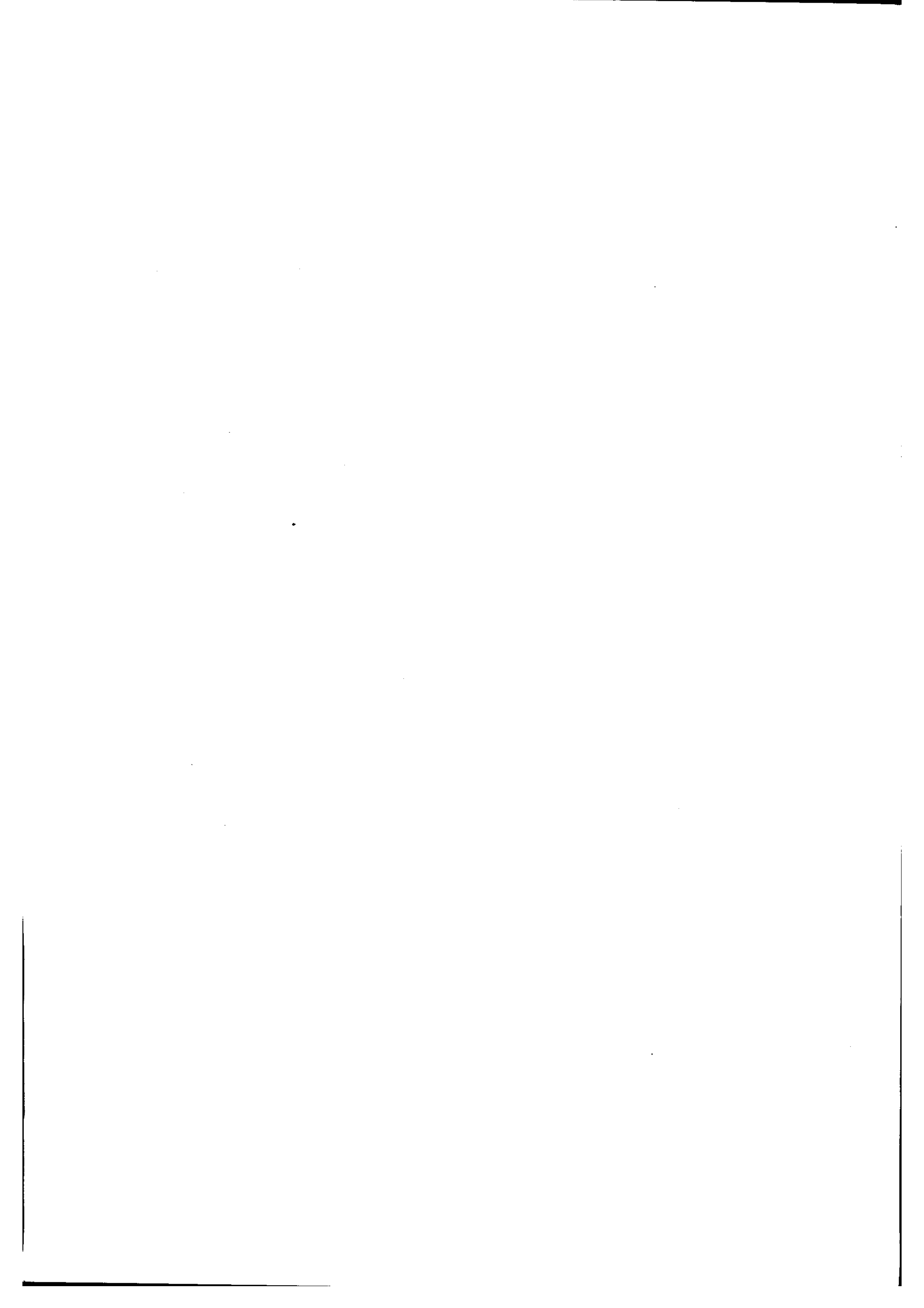
-وليم فلندرز بترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة، ترجمة حسن محمد جوهر وعبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٥.

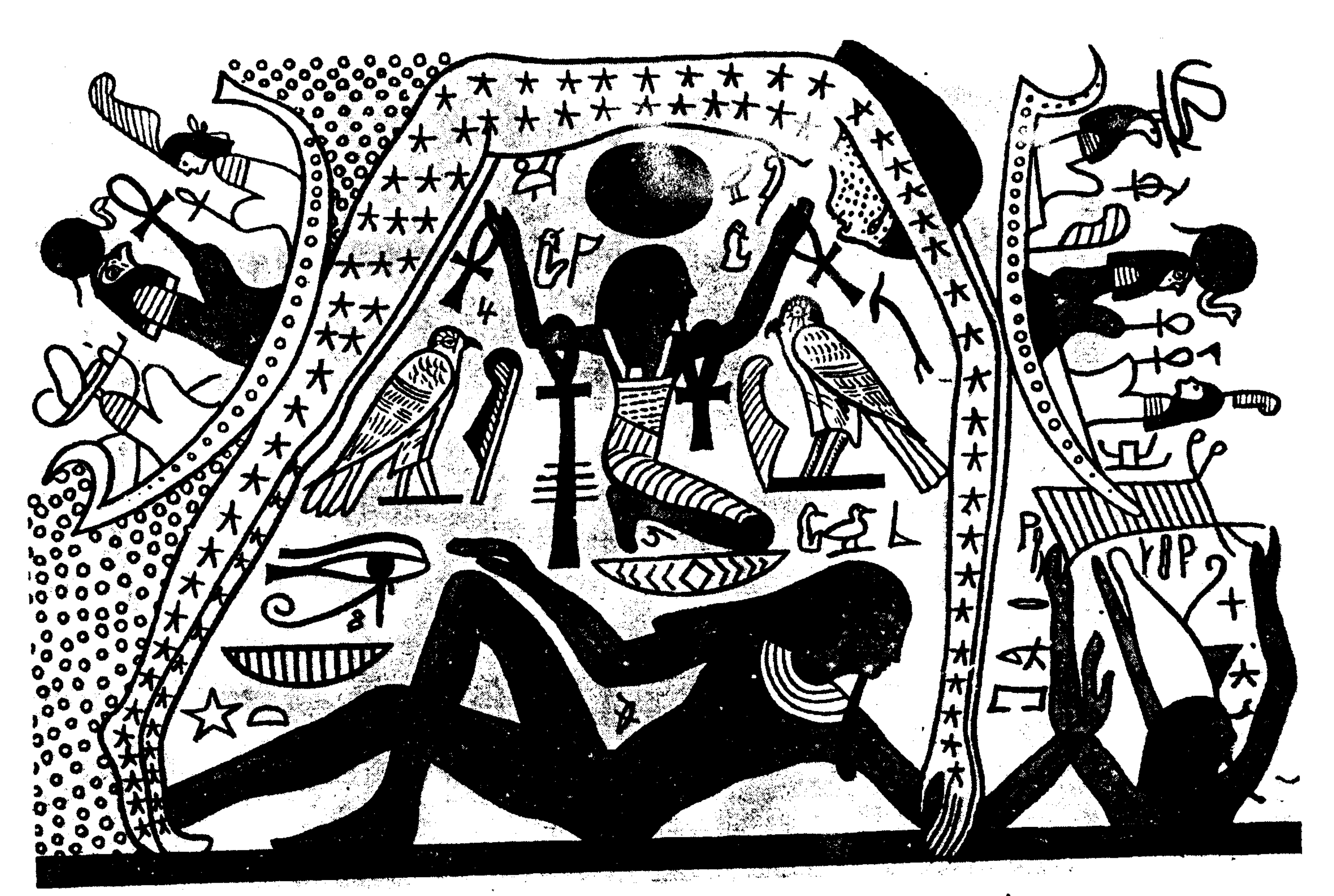
ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- **Erman, A.,** The Literature of the Ancient Egyptians, Trans. into English by A. M. Blackman, London, 1927.
- **Gunn, B.,** The Instructions of Ptah-Hetp and The Instructions of Kégemni, The Oldest Book of the World, London, 1912.
- **Lichtheim, M.,** Ancient Egyptian Literature, 2vols., London, 1973-1976.
- **Simpson, W.K.,** The Literature of Ancient Egypt, London, 1977.
- **Wilson, J.,** The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963.

******

الصور





نوت وجب بينهما تشو وتفنوه - بردية من الدولة الحديثة



تمثال للملكة حتشبسوت على هيئة أبو الهول من الحجر الجيرى الملون ـ حاليا بالمتحف المصرى



الملك خوفو تمثال من العاج





تصوير حياة الفلاحين فى زراعة المحصول والحصاد



فلاحون يعملون فى الحقل ، الأسرة « ١٨ »



سنوسرت الثالث

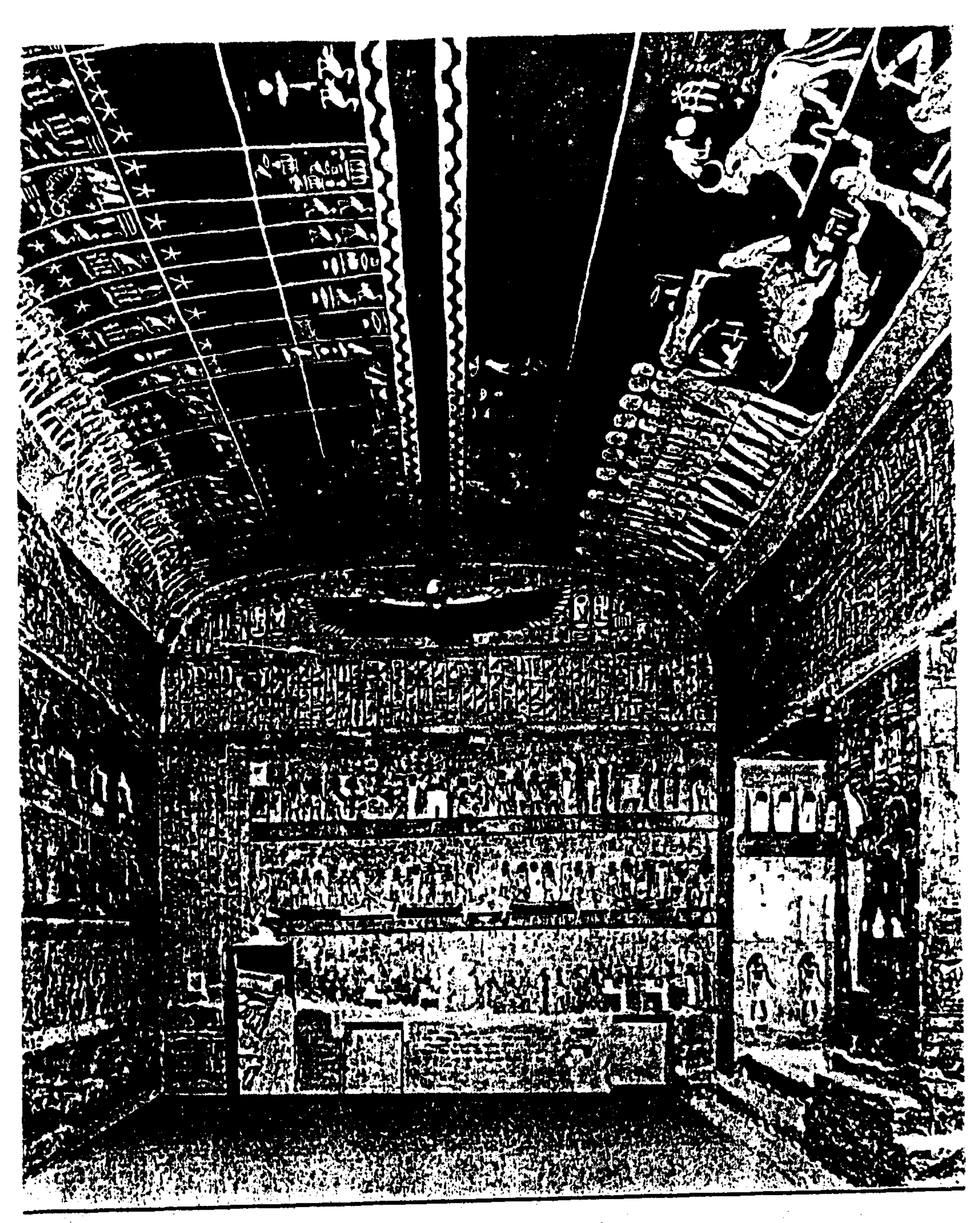
الأسرة الثانية عشرة ٥٠٤٥ سطى



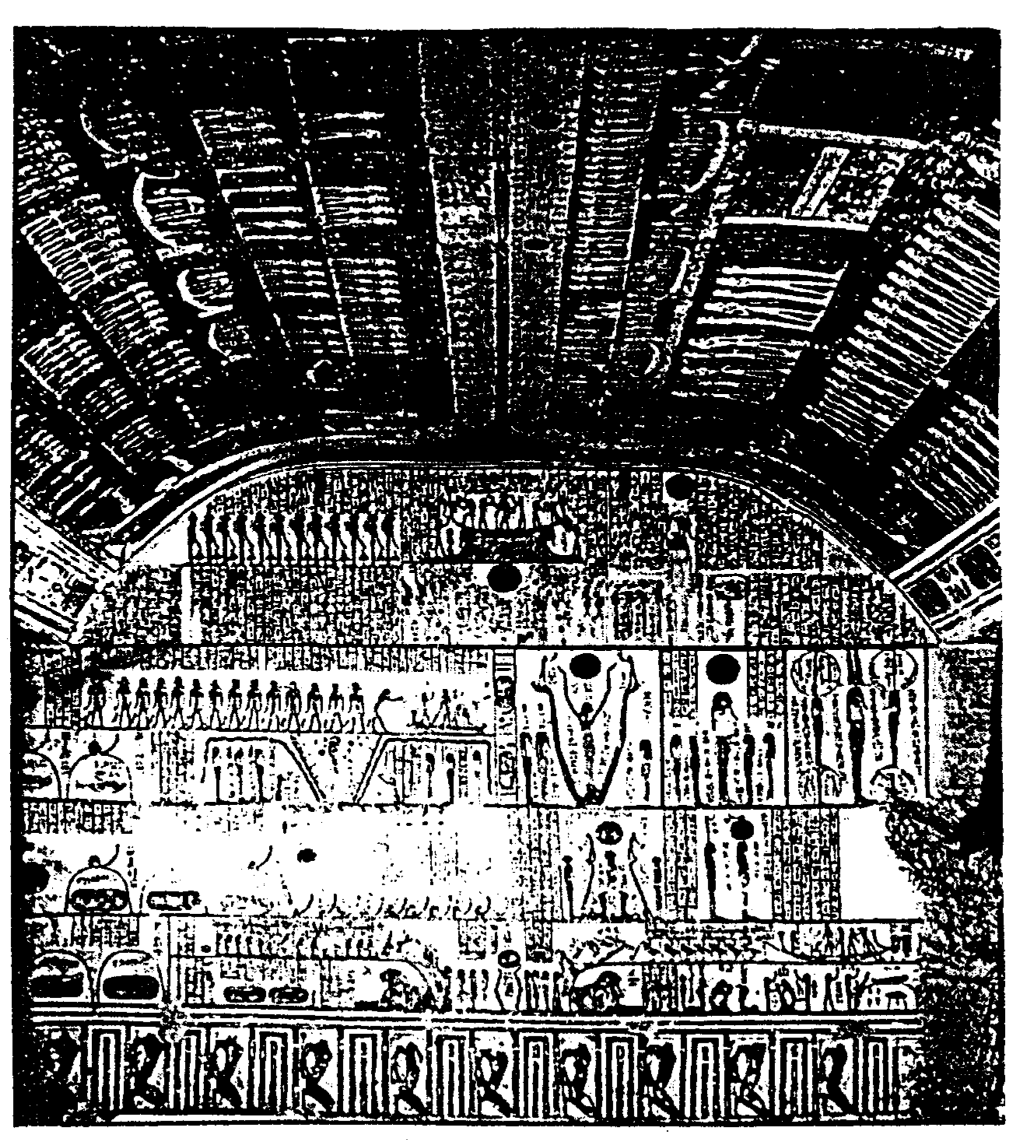
تمثال من الجرانيت للملك « رمسيس الثانى » محفوظ بمتحف تورين



تمثال [illegible] قبل الميلاد



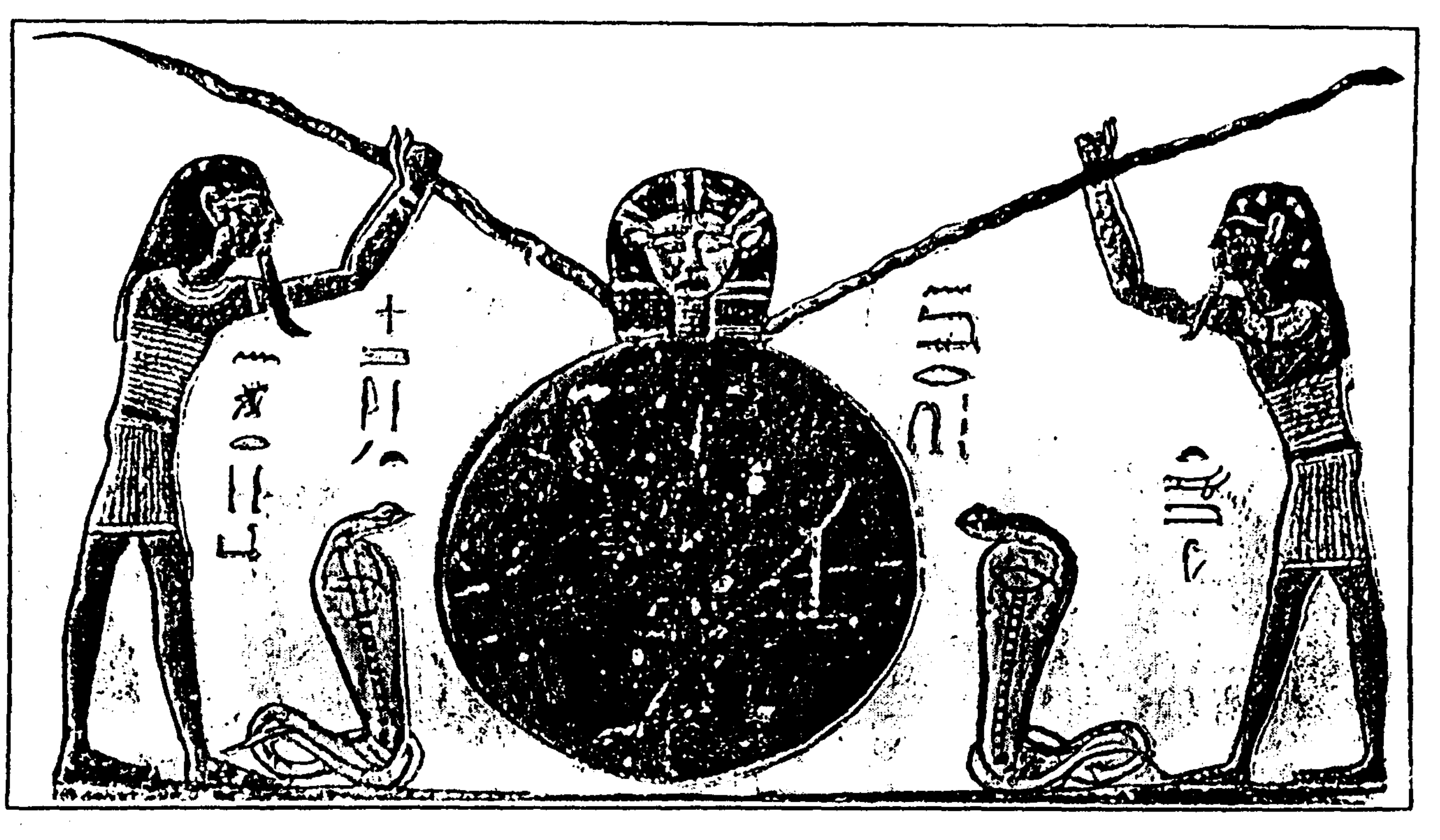
مقبرة سيتى الأول بصو الاثير ه لا اطه



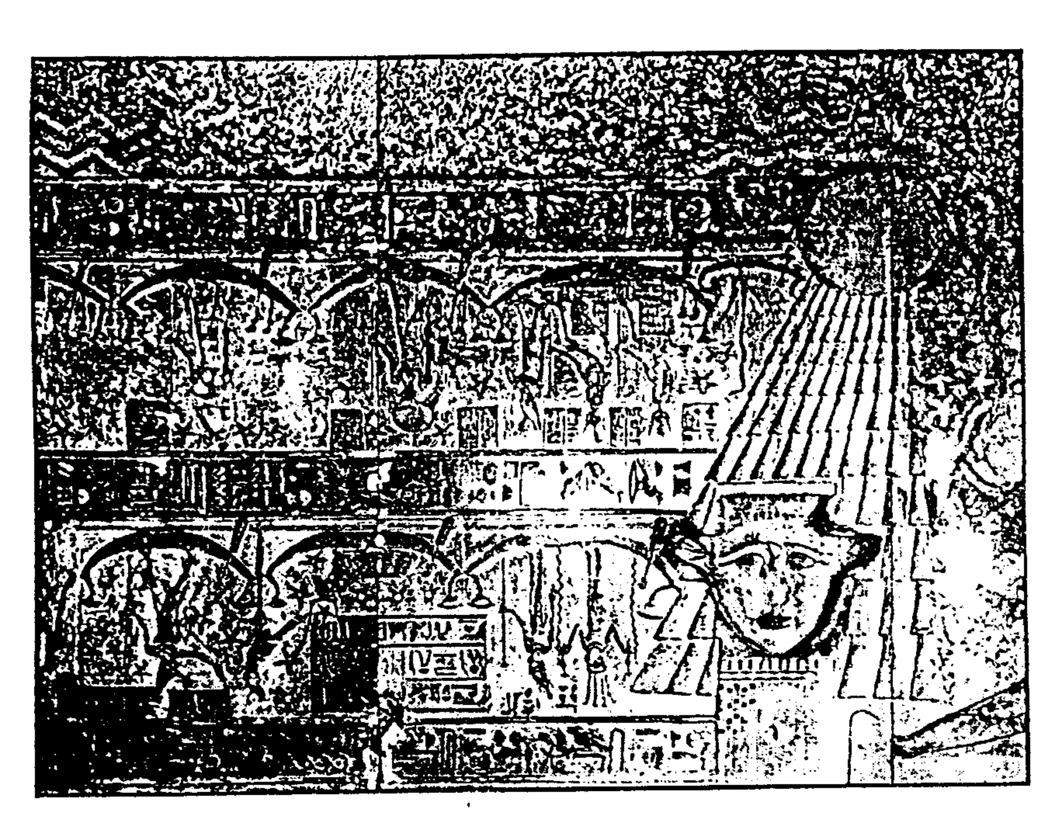
مقبرة رمسيس السادس تصور أسطورة هلاك البشرية



حتحور تقيد أحد البشر (تفصيل) - مقبرة رمسيس السادس



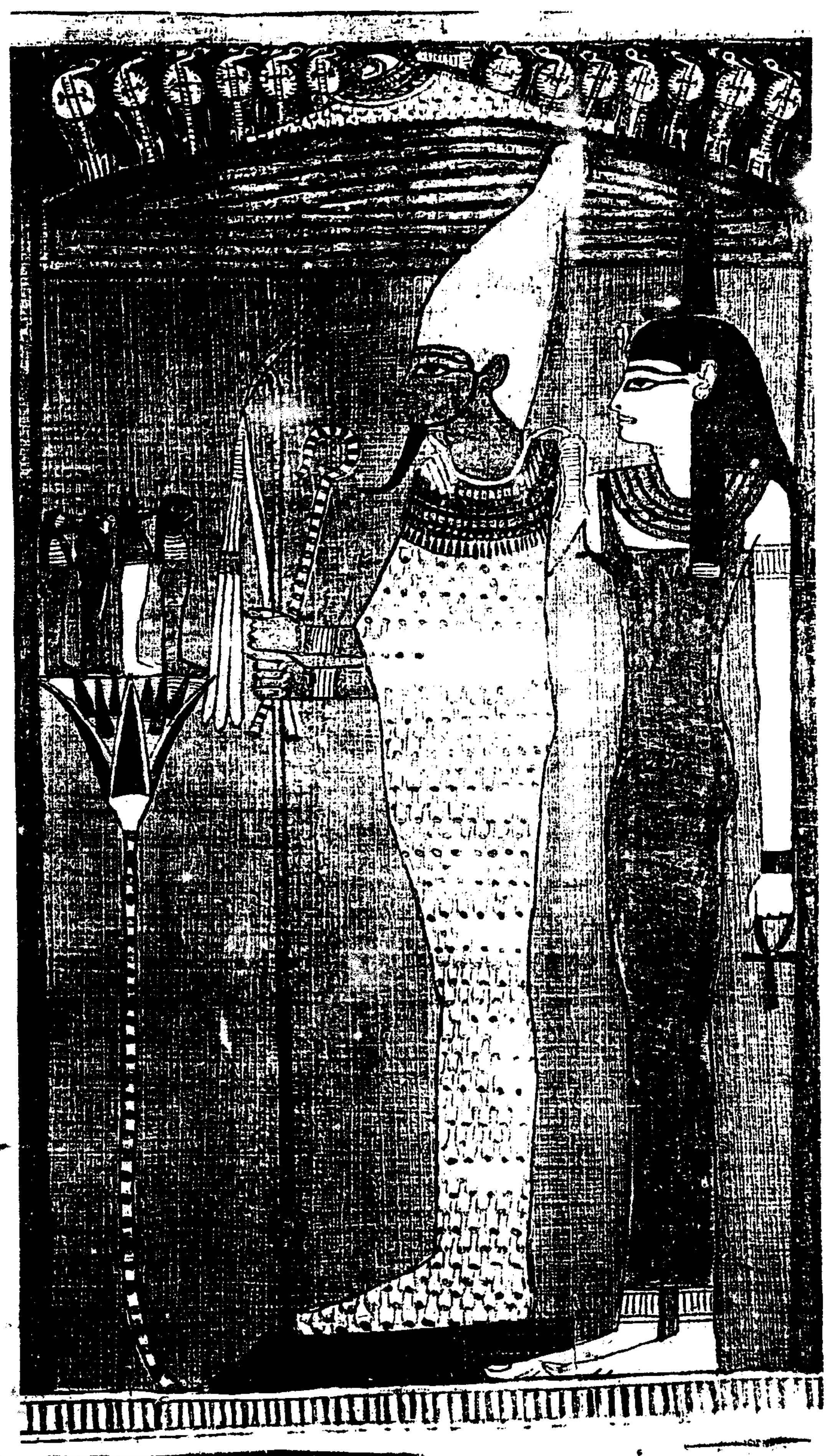
حتحور تشرب بحيرة الدم - (الجعة) مقبرة رمسيس السادس



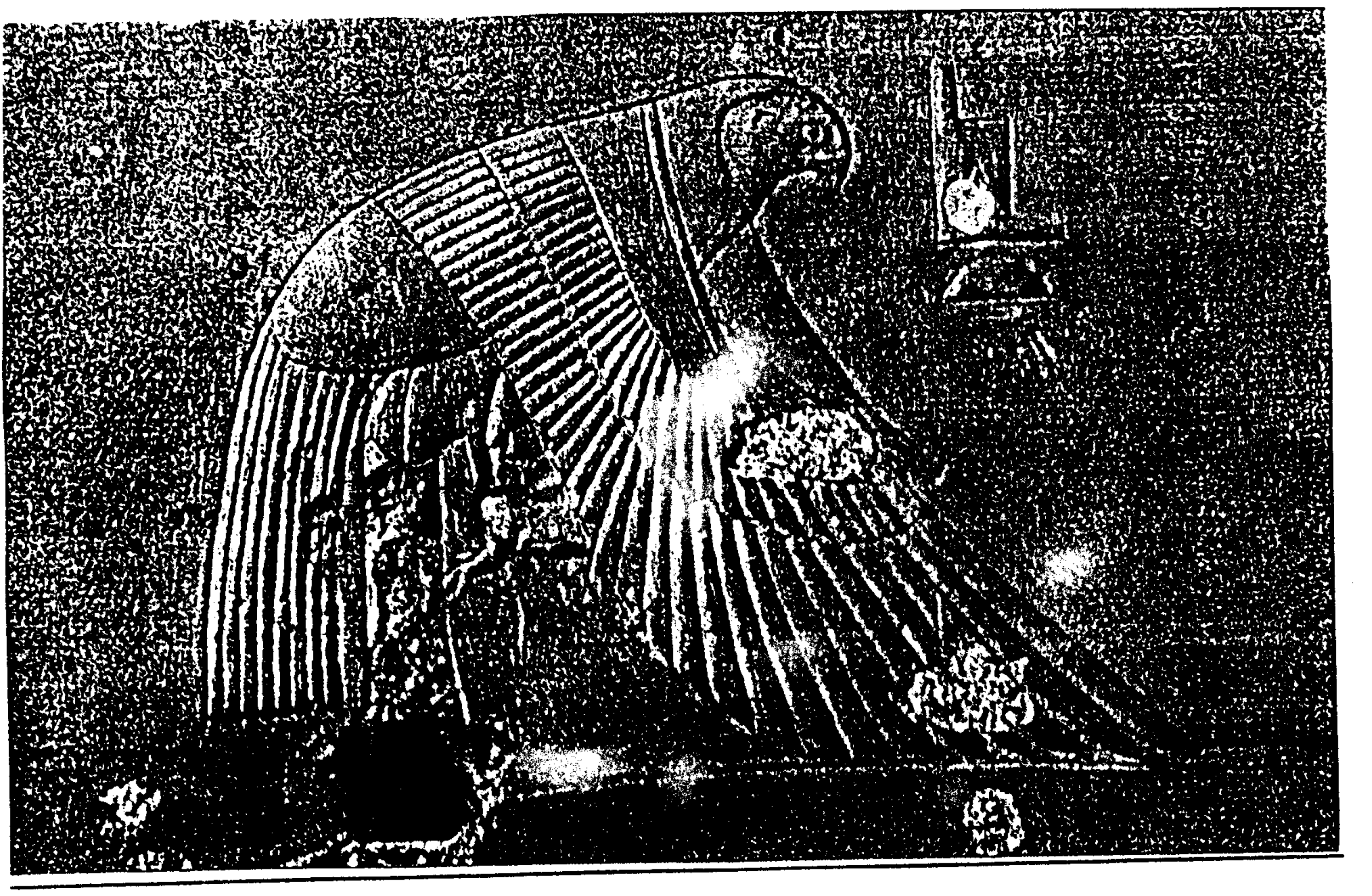
رع وأسطورة ولادة حتحور - سقف معبد هابو



أوزيريس

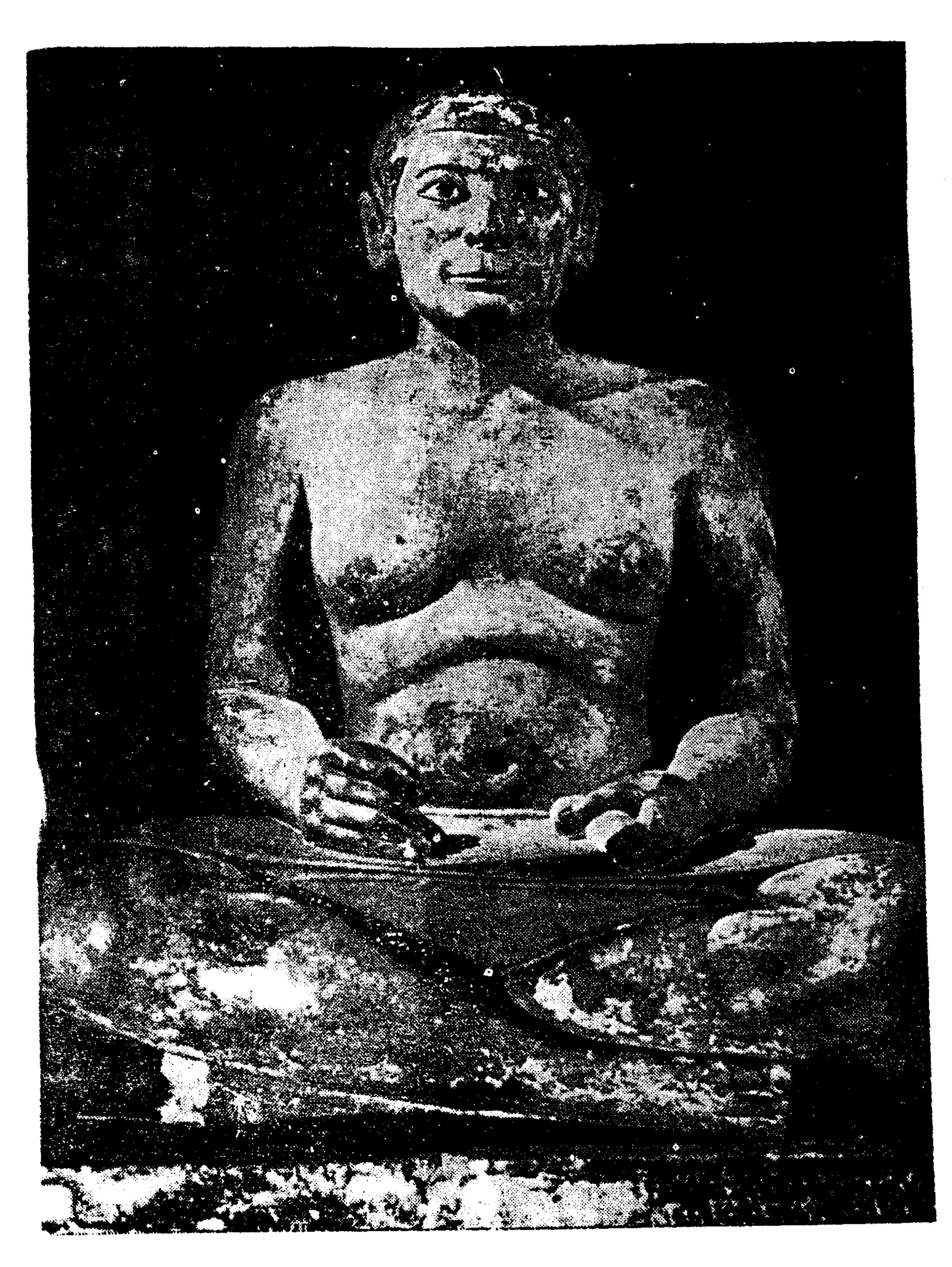


أوريسس وإيس



ايزيس تلد حورس من روح أوزيريس

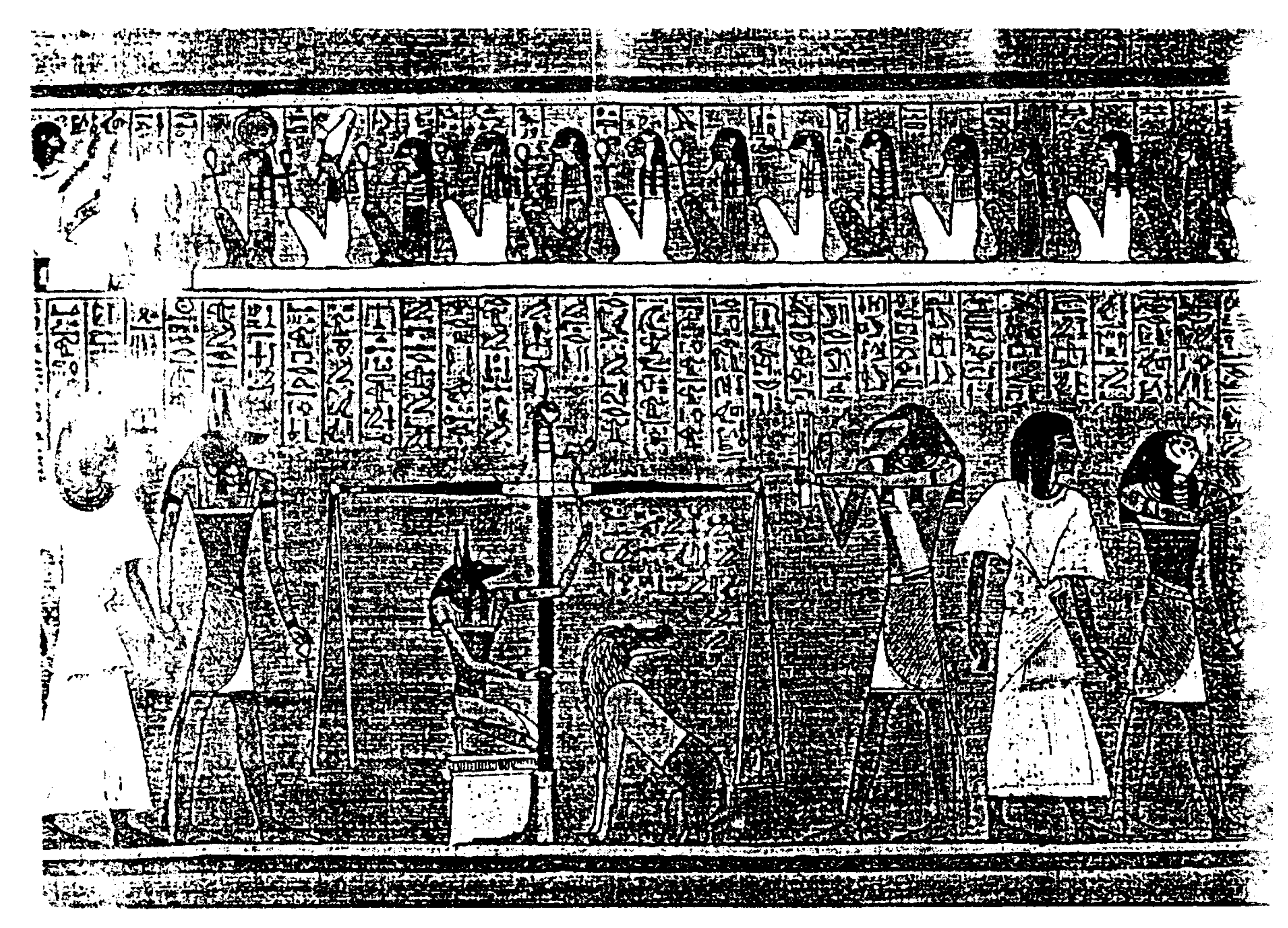




تمثال الكاتب المصري من [illegible]



تمثال من الجرانيت الرمادى « لأمنحتب بن حابو »
فى شبابه على هيئة كاتب تحت إلهام أحد الآلهة ـــ من
الكرنك ١٣٦٠ قبل الميلاد

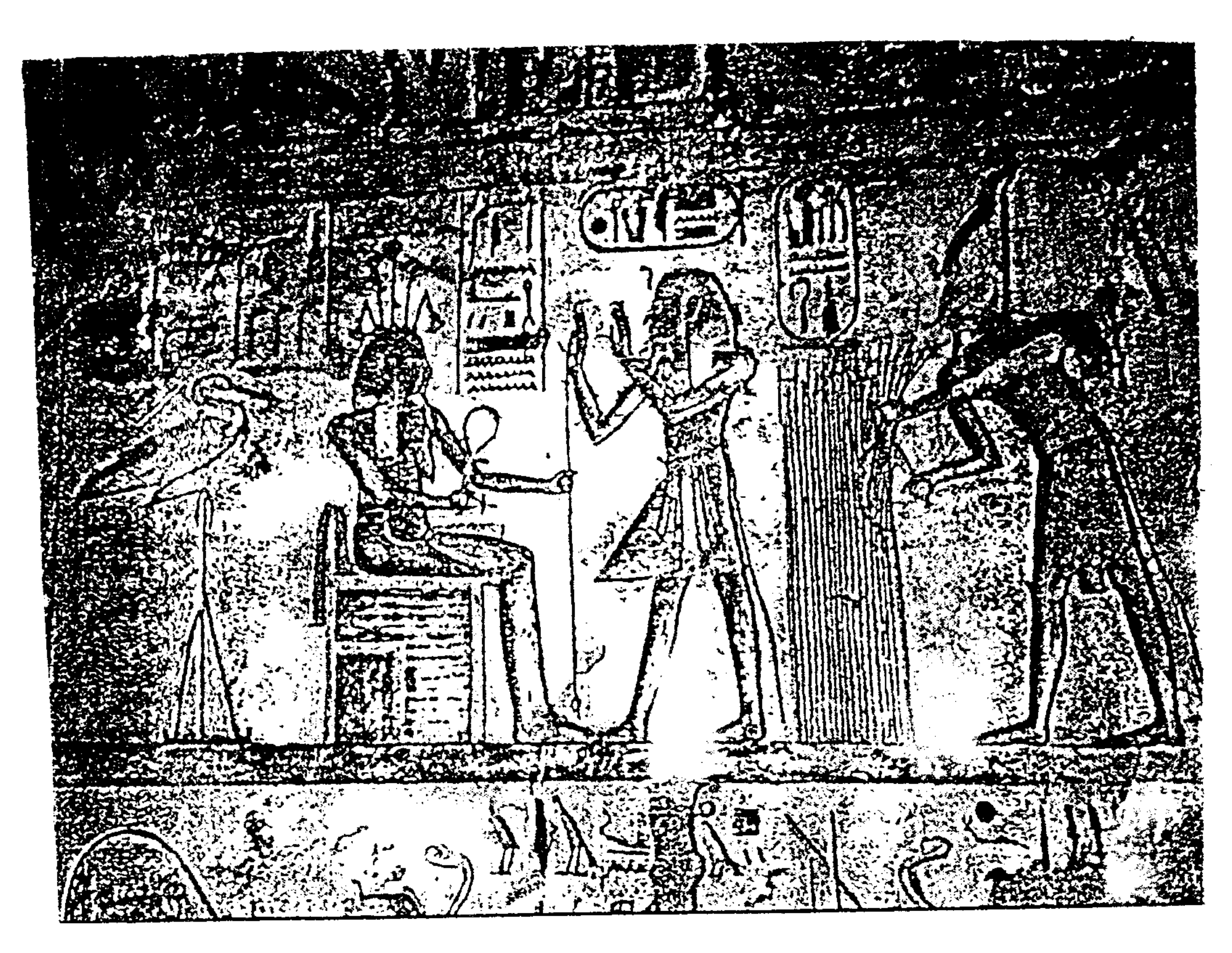


بردية (كتاب الموتى) للمدعو آنى - الدولة الحديثة

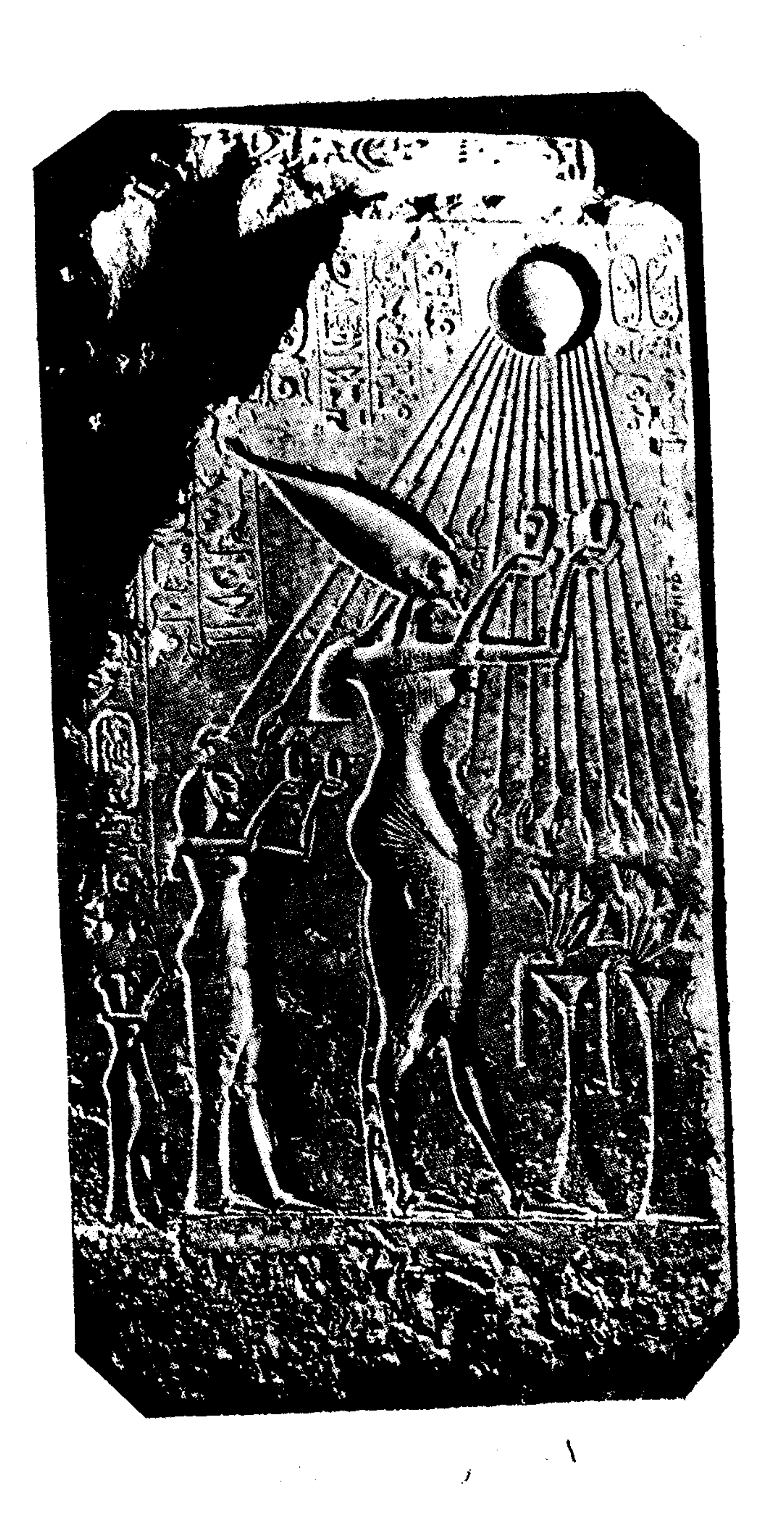


رع حور اختى - خلفه «ماعت» ربة العدل من مقبرة (تاوسرت،

وست ناخت) الدولة الحديثة - طيبة



حابى إله النيل ورمسيس الثالث يأخذ المحصول ويشده





أحد الكهنة ينشد ويزف على الهارب



عازفة للهارب ومنشدة فى إحدى الحفلات